



المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

قسم اللغة والأدب العربي
المرجع:

معهد الآداب واللغات

رحلة محمد الكبير الى الجنوب الصحراوي الجزائري لأحمد بن هلال التلمساني - دراسة سردية -

مذكرة معدة استكمالاً لمتطلبات نيل شهادة الماستر

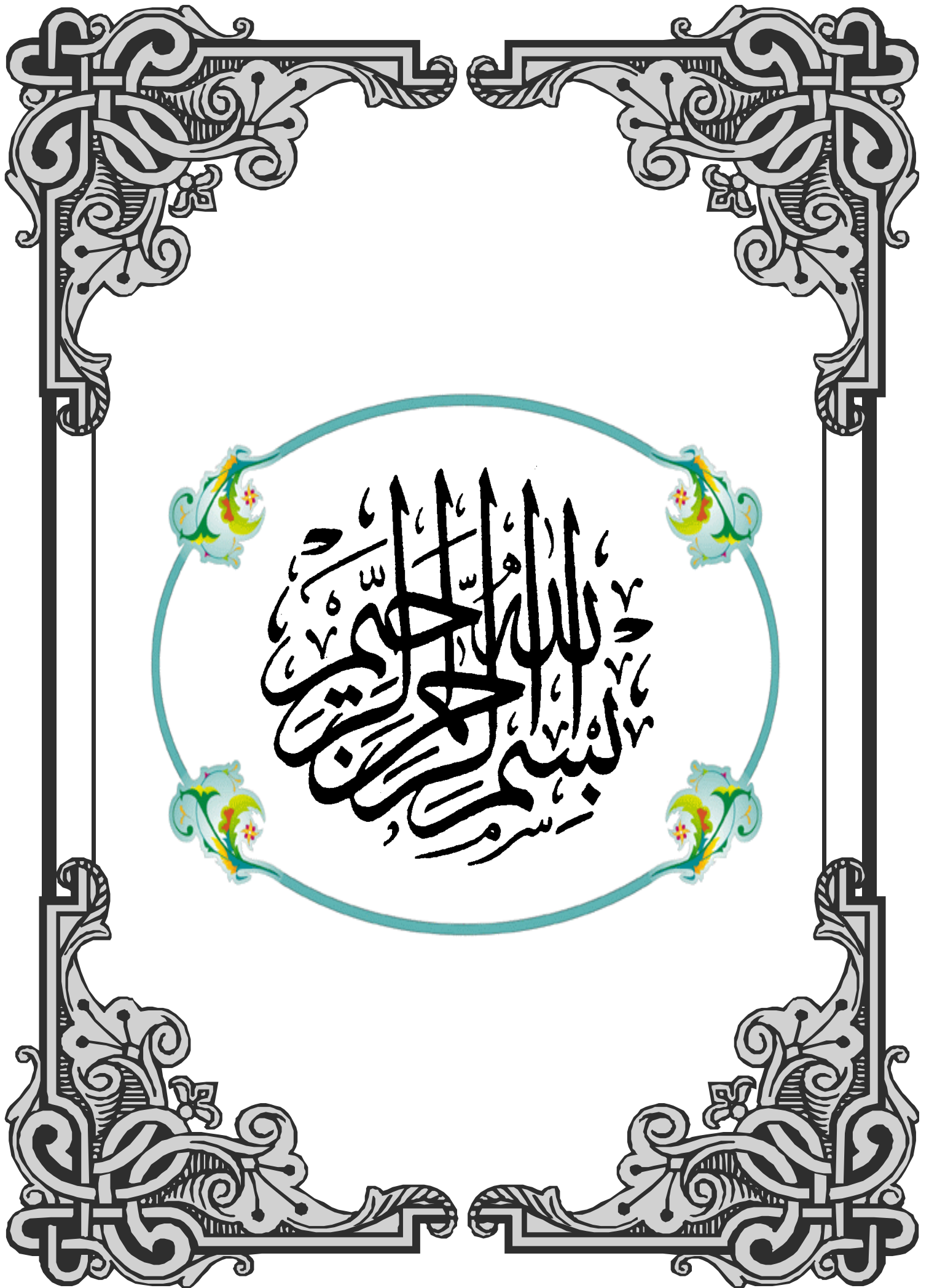
التخصص: أدب عربي قديم
إشراف الأستاذ(ة):
* د. مسعود بن ساري

الشعبة: أدب عربي
إعداد الطالبة:
* رقية عرفى

لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	المركز الجامعي عبد الحفيظ بالصوف ميلة	حنان بومالي
مناقشا	المركز الجامعي عبد الحفيظ بالصوف ميلة	غزالة شاقور
مشرفا ومقررا	المركز الجامعي عبد الحفيظ بالصوف ميلة	مسعود بن ساري

السنة الجامعية: 2015م/2016م



شكر وعرفان

الحمد لله الذي أنار لي درب العلم والمعرفة وأعانني على أداء هذا
الواجب ووقّفتني في إنجاز هذا العمل.
أرى من الواجب قبل المضي قدما في عرض هذا البحث أن
أتوجه بالشكر والعرفان إلى الأستاذ المشرف:

- مسعود بن ساري -

الذي لم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عوناً
لي لإتمام هذا البحث

الإهداء

بكل محبة أهدي ثمرة جهدي هذه إلى الغالين اللذين أفنيا
عمرهما لأصل إلى هذا المستوى، شمسي وقمرى المنيرين أمي
وأبي الكريمين فأحييكما تحية علم ومحبة إلى الذين علمتاني
أن أكون للعلم طالبا شغوفا، وأن اضحك للصعاب في كل آن لأن
النجاح آت، وأن أرفع يدي مشعل العطاء منيرا ... لوجه الله عز
وجل، فإليكما يا والدي أهدي ثمرة جهدي أطال الله عمركما.
إلى الذين عشت معهم سنين عمرى شاركونى بسمه الحياة وآلامها، أخواتي
الأعزاء هدى، أسماء، أمينة، وأخي عماد، حفظكم الله من كل سوء، وإلى
أستاذي المشرف مسعود بن ساري.
إلى من بدونهم لا تطو الحياة صديقاتي مريم ومنيرة و ابتسام وحكيمة
وفتيحة، أصدقائي في الدراسة وأدعو الله أن لا تفرقنا المسافات.
إلى كل الزملاء والزميلات في الدراسة وإلى من كان لي عوناً ورفيقاً
ومساعداً ولو بكلمة تشجيع أهدي لهم ثمرة بطني هذا.
إلى كل من ساهم في تلقيني ولو بحرف في
مشواري الدراسي
إلى من عرفت وصدقت.



مقدمة



مقدّمة

و يعتبر فن الرحلة من الفنون النثرية المتجذرة في الأدب العربي و تأخذ أهميتها من كونها وسيلة من وسائل التواصل مع الآخر، والمثاقفة معه إذ من خلالها يحصل الاتصال بين الأمم، والتعارف بين الشعوب ، وتتبادل المعارف بينها، خصوصا فيما يتعلق باللغة والعادات والتقاليد

ولما كان من متطلبات البحث الوضوح، ووجوب التحديد، فقد اقتصر في بحثي على دراسة الرحلة في الأدب الجزائري القديم ، وبالتحديد في العصر العثماني، متخذة في ذلك أنموذجا لدراسة الموسومة برحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري لأحمد بن هطال التلمساني. فمن هو محمد الكبير وما هو أدب الرحلة وأين كانت وجهات الرحالة الجزائريين وما هي دواعيهم وما الدافع من رحلة محمد الكبير الى الجنوب الصحراوي الجزائري

و دواعي اختياري لهذا الموضوع يمكن أجمالها فيما يلي:

- الرغبة في الاقتراب من الادب الجزائري
 - الرغبة في تناول شكل من أشكال الأدب الجزائري خاصة النثري منه
- معتمدة في ذلك على المنهج السردى الذي يتخذ من عناصر السرد ركزا له وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدت على الخطة الأتية: فصلين وخاتمة، حيث كان الفصل الأول فضاءا ومكانا للحديث والتعريف لمصطلحات من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية لفن الرحلة ولمصطلح السرد، وتقديم تعريف وترجمة لشخصية محمد الكبير باي الغرب الرحالة داخل الرحلة، كما قدمت لمحة عن أدب الرحلة في الأدب الجزائري ووظائف السرد.

أما الفصل الثاني فكان للحديث عن عناصر الدراسة السردية وبنياتها المتمثلة في الشخصية الزمان، والمكان فقدمت تعريفات لكل منها واستخرجت هذه البنيات من الرحلة التي اتخذتها كأنموذج للدراسة وكانت الخاتمة بمثابة خلاصة ونتائج لما أنجزته.

ولكي يصل هذا البحث إلى المبتغى تم الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع ك رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري وتاريخ الجزائر الثقافي لابي القاسم سعد الله والرحلة المغربية في القرن التاسع عشر لعبد الرحيم مودن ولقد واجهتني كأي بحث أثناء جمعه للمادة وأثناء الإنجاز مجموعة من الصعوبات يأتي على رأسها:

- انتماء المدونة إلى العهد العثماني ونظرا لطبيعة الإنتاج الأدبي وعلى وجه الخصوص الرحلة وتميزها بالإطناب وكثرة الاستطرادات في الرحلة ما يجعل قراءتها وتتبع أحداثها أمرا صعبا يتطلب جهدا كبيرا ووقتا طويلا.
- فالحمد لله، والشكر لكل من كان لي عوناً من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل خاصة الأستاذ التي تبني فكرة الموضوع وتتبع خطواته وأشرف على انجازه الأستاذ - مسعود بن ساري - أدام الله عطاءه كما أتقدم بجزيل الشكر لأعضاء لجنة المناقشة التي خصصت وقت من وقتها لمناقشة بحثي وتصويبه ليخرج في حلة أفضل.

الفصل الأول



الفصل الأول

الفصل الأول: قراءة في النشأة والتطور

01. مفهوم الرحلة
02. لمحة عن الرحلة في الأدب الجزائري
03. دواعي الرحلة
04. تعريف السرد

أولاً: مفهوم الرحلة:

1- تعريفها:

أ/ لغة : لمصطلح الرحلة اشتقاقات عديدة ومختلفة منها:

1. « الترحيل والرحال بمعنى الأشخاص والإزعاج، يقال رحل الرجل إذ سار، وأرحلته أنه ورحل رحول وقوم رحل، أي يرتحلون كثيراً ورجل رحال، عالم بذلك مجيد له»⁽¹⁾. فالرحلة هنا بمعنى السير، ووردت الرحلة في معنى آخر بمعنى الانتقال من مكان إلى مكان آخر « الترحل والارتحال، الانتقال: وهو الرحلة والرُحلة، والرحلة اسم للارتحال للمسير»⁽²⁾.

وهنا الرحلة بمعنى الانتقال من مكان إلى مكان آخر.

2. « رحل، الراء و الحاء و اللام أصل واحد، يدل على مضي في سفر؛ يقال: رحل يرحل رحلة. وجمل رحيل: ذو رُحلة بضم الراء و كسرهما إذا كان قويا على الرحلة. والرحلة الارتحال. والراحلة المركب من الإبل ذكرا كان أو أنثى. ورحله إذا أظعنه من مكانه . ومعنى الرحلة والرُحلة : القوة على السير»⁽³⁾. وبذلك فالرحلة السير والقدرة عليه و الإبل وسيلته.

وبهذا فالرحلة هي التنقل والارتحال من مكان الى آخر قصد دواعي وأهداف تختلف من رحال إلى آخر وإلى وجهات متعددة ومختلفة فهي قائمة على الحركة والسير وقوة التحمل ويمكن اعتبارها سفر وتنقل من مكان إلى آخر.

من خلال هذا فمشتقات مادة رحل في المعجمين الاثنيين تحمل معنى السفر والانتقال والارتحال من مكان إلى مكان آخر باعتبارها تدور حول متطلباته من جهة فالعمل و الحركة والانتقال، ومن جهة أخرى القوة والجهد.

¹ - ابن منظور، لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي و آخرون ، دار المعارف، مصر، القاهرة ، دط، دت، ص 1609، مادة رحل

² - المرجع نفسه ، صفحة نفسها.

³ - ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر، سوريا ،دمشق ،دط، دت، مادة " رحل " ،ص 497-498.

ب/ اصطلاحاً:

تعددت مفاهيم الرحلة من الناحية الاصطلاحية إلا أنها تصب كلها في قالب واحد فقد عرفها الإمام الغزالي بقوله: «نوع مخالصة مع زيادة تعب ومشقة»⁽⁴⁾، وبذلك فالرحلة عبارة عن الاحتكاك بالآخرين بعد الجهد والتعب نتيجة الانتقال.

والرحلة تكون لغرض وهدف معين باختلاف أسبابه سواء كان خاصاً أو عاماً ولذلك فالرحلة: «إنجاز أو فعلاً أو مباشرة لما يعنيه أو يقتضيه أمراً اختراق حاجز لمسافة أو إسقاط الفاصل الحاجز بين المكان الذي تبدأ منه، والمكان الذي تنتهي إليه»⁽⁵⁾.

وفي تعريف آخر للرحلة هي «مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة وقد يتعرض فيها ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد»⁽⁶⁾.

إن الرحلة من خلال هذا التعريف هي تلك المؤلفات التي تروي مغامرات واقعية يتم من خلال التعرف عن عادات وتقاليد وسلوكيات وأحوال بلاد زارها. ويعرفها آخر بأن الرحلة: «ذلك النثر الذي يصف رحلة أو رحلات واقعية قام بها رجال متميز موازنا بين الذات والمضمون، من خلال شكل ومضمون مرنين بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه»⁽⁷⁾.

ومن خلال هذا التعريف يمكن تعريف الرحلة بأنها: «انتقال ضمن الفضاء الجغرافي والزمن التاريخي، وهي انتقال أيضاً إلى نظام اجتماعي وثقافي»⁽⁸⁾.

⁴ - ابو حامد محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط6، 1986، ج2، ص213.

⁵ - صلاح الدين علي الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، منشأة المعارف مصر، القاهرة، د ط، 1999، ص11.

⁶ - مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، لبنان، بيروت، ط2، 1982، ص17.

⁷ - اسماء ابو بكر ابن بطوطة (الرجل والرحلة)، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1992، ص11.

⁸ - دانيال هنري باجو، الأدب العام والمقارن، ترجمة غسان السيد، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، دمشق، د ط، د ت، ص49.

ومن خلال هذه التعاريف فالرحلة فن من الفنون النثرية التي تأخذ من السفر ركيزتها الأساسية ففيها انتقال من مكان إلى مكان آخر لأهداف وأسباب عديدة وكثيرة يكون فيها اكتساب لمعارف وتواصل واحتكاك مع افراد ومجتمعات مختلفة

ثانيا: لمحة إلى الرحلة في الأدب الجزائري:

عرف الإنسان العربي الرحلة منذ الجاهلية والتي كانت مصاحبة لحياته منذ القدم تبعا لطبيعة الحياة البدوية القائمة على التنقل والانتقال وذلك لأغراض عديدة ومتنوعة كالتجارة ولجلب المأكّل والمشرب.

أما في الحديث عن الرحلة والتي تعتبر فنا من الفنون النثرية في الأدب الجزائري القديم والتي كان لها الحضور البارز فيه حيث عرفت انتشارا وشيوعا في المغرب العربي بعد أن كانت حكرا على المشرق العربي وذلك في بداية القرن السادس للهجري وذلك مع الإدريسي من خلال مصنفه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" والذي امتاز « بجزارة مادته في جغرافية المغرب وصقلية مما يشهد بأنه ساح في تلك الآفاق»⁽⁹⁾.

وفي الأدب الجزائري هناك مجموعة من الرحلات ففي القرن السابع عشر نجد رحلة احمد المقري التلمساني تحت عنوان: « رحلة في المشرق والمغرب»⁽¹⁰⁾، وهي تعد من الرحلات الغير مطبوعة وإنما عبارة عن مخطوط اما إذا انتقلنا إلى القرن الثامن عشر فنجد رحلة ابن عمار المعروفة بـ نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب وهي رحلة مقسمة إلى ثلاثة أقسام مقدمة، عرض خاتمة.

أما المقدمة فهي القسم الموجود منها والمطبوع إذ فيها حديث عن شوقه وحنينه للحرمين والى سيد الخلق - محمد صلى الله عليه وسلم - كما تحدث أيضا عن عادات وتقاليد الجزائريين وطريقة احتفالهم بالمولد النبوي الشريف.

وإلى جانب رحلة بن عمار هناك رحلة أخرى وهي رحلة للورثاني سيد محمد والتي تحمل عنوان « نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار»، هذه الرحلة تعد بحق «موسوعة أخبار عن جزء كبير من العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر فهي من المراجع التي لا غنى عنها في هذا المجال، وكان التكرار حجة وإتقانه للعربية ومعرفته لعادات الشرق والغرب، فقد جعلت الورثاني حكما منصفا على العصر وأهله في كثير من

⁹ - زكي محمد حسين، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، لبنان، بيروت، دط، 1981، ص65.

¹⁰ - ينظر، سميرة ساعد، صورة المشرق العربي من خلال رحلات الجزائريين في العهد العثماني، مجلة التراث العربي، مجلة وصلية، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، دمشق، ط1، 1997، ص107.

المناسبات»⁽¹¹⁾، ونختم رحلات هذا القرن برحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة «بلسان النبأ عن النسب والحسب والحال»⁽¹²⁾، والتي كانت رحلته لأغراض وأهداف عديدة فالتجارة من جهة وللعلم من جهة أخرى وبالإضافة إلى رحلات أخرى أقيمت في القرن الثامن عشر. شهدت الرحلة في القرن التاسع عشر نشاطا وتطورا وذلك لعوامل عديدة كاحتكاك العرب بالغرب الوافد إلى البلدان العربية خاصة مع حملة نابليون بونابرت على مصر عام 1798 م. والتي تعد مؤشرا لبداية النهضة العربية وذلك نظر للتغيرات التي شهدها العرب في ظل هذه الحملة، فمن الرحلات التي أقامها الرحالة الجزائريين في هذا القرن رحلة أبو راس الناصري المعسكري الجزائري والتي كانت رحلته باتجاه المشرق العربي لأداء مناسك الحج، وكذلك رحلة الحاج ابن الدين الأغواطي المسماة برحلة «الأغواطي في شمالي إفريقيا والسودان والدرعية»⁽¹³⁾ وكذلك رحلة بن صيام المسماة بالرحلة الصيامية والتي كانت باتجاه باريس والتي قدم فيها مجموعة من الأوصاف للأشياء الحديثة التي لاحظها في المجتمع الفرنسي وأقرب لتطور اللاحق في جميع الجوانب، أما في القرن العشرين كانت رحلات داخلية وأخرى خارجية فبنسبة لرحلات الداخلية فنجد عدة رحالين ومنها، ابن باديس ورحلته إلى العديد من المدن الجزائرية، والتي كانت بهدف توعية الشعب ودعوته إلى اتباع كتاب الله والسنة النبوية الشريفة والتي عمل في رحلته على إنشاء وتكوين أمة عربية ومسلمة متمسكة بقيمها ومبادئها، ولرحلاته العناوين التالية⁽¹⁴⁾:

- للتعاون والتذكير.
- جولة صحفية في بعض جهات الوطن.
- ثلاثة أيام ببسكرة.
- رحلتنا إلى العمالة الوهرانية.

¹¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، دط، ص2، ج2، ص398.

¹² - ينظر ابن حمادوش عبد الرزاق الجزائري، رحلة ابن حمادوش، تحقيق أبو القاسم سعد الله، للطباعة الشعبية، الجزائر د ط، 2007، ص126.

¹³ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وارهاء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، بيروت، ط2، 1990، ص243.

¹⁴ - ينظر عبد الحميد ابن باديس، حياته وآثاره، جمع ودراسة عمار طالبي، الشركة الجزائرية، الجزائر، ط1، 1968، ص297.

فالرحلات الداخلية لابن باديس وغيره كانت بهدف تحقيق "بناء حس وطني بمختلف أبعاده ينهض به وطن قوي مزدهر، يسعد فيه جميع أبنائه ويتوفر فيه لكل مواطن في كل جهة عزة وكرامة في كنف العدالة والمساواة في المحيط اجتماعي وسياسي سليم"⁽¹⁵⁾.

أما الرحلات الخارجية فكانت اتجاه بلدان عربية مسلمة وأخرى إلى بلدان غربية، ومن هذه الرحلات نذكر رحلة محمد البشير الإبراهيمي إلى مصر وباكستان تحت عنوان "رحلتي إلى الأقطار الإسلامية"⁽¹⁶⁾ ورحلة أبو القاسم سعد الله تحت عنوان "رحلتي إلى الجزيرة العربية وغيرها من الرحلات سواء الداخلية والخارجية.

وبهذا قدمنا مجموعة من الرحلات لرحالين جزائريين وفق أزمنة متتابعة.

ثالثا: دواعي الرحلة:

إن الدوافع وراء سفر الرحالين وانتقالهم إلى بلدان مختلفة تنقسم إلى دوافع مباشرة وغير مباشرة.

أ/ الدواعي غير المباشرة:

منها ما هو متعلق بالمنظومة الثقافية ومنها ما هو متعلق بالبيئة نفسها ونجد معظم هذه الدوافع متعلقة بالدين الإسلامي الذي شجع معتقيه إلى الرحلة ونجد ذلك في آيات كثيرة ولأغراض شتى، ذكرناها سابقا، كما حث على طلب العلم وحث على ذلك «فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ»⁽¹⁷⁾.

أما الحج فجعله الله سبحانه وتعالى فرض من فرائض الإسلام، هو فرض قطعي بشرط الاستطاعة «الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ»⁽¹⁸⁾، وهناك غرض لرحلة هو السير والتأمل لقوله تعالى «قُلْ سِيرُوا فِي

¹⁵ - عمر بن قنية، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط 1995 ، ص125-126

¹⁶ - ينظر محمد البشير الإبراهيمي، آثاره، دار الغرب الاسلامي ، لبنان، بيروت ، ط1، 1997، ص18

¹⁷ - سورة التوبة، الآية97.

¹⁸ - سورة البقرة، الآية197.

الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ...»⁽¹⁹⁾، ومن خلال هذه التشريعات التي تدعو إلى الحركة والتنقل توفرت في المنظومات بأنواعها الثقافية والمعرفية للمسلمين دوافع قبول الرحلة.

ب/ الدواعي المباشرة:

وتسمى أيضا الدوافع الذاتية وهي مرتبطة في الغالب بالدوافع العامة التي يستمد منها الأفراد المبررات الكافية للانطلاق والاعتراب، وأكثر الضرورات تأثيرا ما ارتبط بالذات وحاجاتها « التي تدفع الإنسان لرحيل رغم أنها قد تكون مضادة لرغباته أو منافية لتوجهاته العقلية ومخالفة لاستحسان الآخرين»⁽²⁰⁾، والدوافع الذاتية تابعة لميولات الرحالين وقد يعلن عنها في المقدمات وقد تدرك من خلال المتن، وفي حال عدم ظهورها تلتبس الدوافع الداخلية من خلال التواصل بين المرسل والمرسل إليه و الأسباب المباشرة المتعلقة بالرحلات المغربية يمكن جمعها فيما يلي:

1. الباعث الروحي: ويتجلى ذلك من خلال الرحلات في نوعها الحجازي من خلال

إشعار الشوق والحنين إلى زيارة بيت رب العالمين والتمتع برؤية روضة نبي المسلمين كما قال بن ناصر الدرعي «تتابعت زفرتي وأنيبي، وكثر اشتياقي وحنيني إلى تحكيل العينين بمشاهدة الحرمين»⁽²¹⁾.

ويقول ابن عمار " خادعتني الأشواق النافقة الأشواق إلى مشاهد الآثار والأخذ من الراحة بالتأثر ... ليت داعيها وأعطيت كريمة النفس ساعيتها، علما مني أن ليس يظفر بمراد من لا يتابع الإصدار للإيراد ... ولما يرى هذا العزم و أحترم والتنظي لاجع الشوق وأنصرهم وجاع الوجد بالسر المكتوم... شرعت إذ ذاك في المقصود" والباعث الروحي يتجلى أيضا في الرحلات الصوفية التي تعرف بالروحانية التي كانت سائدة في عصر ازدهار الرحلة المغربية وذلك في القرن الثامن عشر، وجعلت الرحالين لا يباليون بما يواجهونه من مشاق الطريق، ولقد وجدنا ابن اللحياني في رحلة التجاني يعزم على الحج رغم نصح الناصحين بصعوبة واستحالة الحج مما جعله أكثر من عام بعيدا عن العاصمة تونس، انتظار للركب

¹⁹ - سورة العنكبوت، الآية 20.

²⁰ - ناصر الدين عبد الرزاق الموفاي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، مكتبة الوفاء، مصر، القاهرة، ط1 1995، ص27.

²¹ - أحمد ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية، كلية الآداب، الرباط دط، دت، ص 4- 5.

الآمن إلى بلاد المشرق، وذلك فإن بيت الله يعد من أغنى الينابيع التي زودت المسلمين بالمعلومات فعودة الحجاج إلى بلادهم يصاحب بكثير من القصص والأخبار التي سمعوها في طريقهم بما يدون الحجاج واسعوا الثقافة ذلك لينتفع بتجارهم سائر المسلمين، ومن ثم زخرت كتبهم بأحوال البلاد العربية وسكانها وطبيعة مزاجهم وأسس اقتصادهم وينايبع ثروتهم⁽²²⁾.

والى جانب الشوق والحنين إلى البقاع المقدسة هناك شوق إلى مقامات الشام فلقد هام المغاربة بالمسجد الأقصى وجاوز الكثير منهم بقره حتى كونوا ما يعرف بحي المغاربة.

2. الباعث العلمي: من عهد مبكر ارتحل المغاربة إلى المشرق لأهداف تعليمية كما كان المشاركة الأوائل يرتحلون لجمع العربية والحديث والأخبار وتأليفها، وكانت الرحلة لطلب العلم أمرا مستقيضا بين اصحاب كل التخصصات وتعويضا لنقص الكتب فأهل المغرب ينتظرون فرصة الحج للتعلم أيضا فبدأ أثر التحقيق العلمي واضحا في رحالتهم حتى صارت الرحلة لملاقة الشيوخ أشبه بالشرط الذي لا يقوم العلم إلا به حرصا منهم على الإسناد العالي، يقول ابن خلدون: «... الرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بقاء المشايخ ومباشرة الرحال»⁽²³⁾، وهكذا تتحول الرحلة إلى بحث ميداني حقيقي لتثبيت المكتسب واكتساب الجديد بالإقامة في المدن الكبرى ومجالسة العلماء وحضور دروسهم ومناظراتهم والتماس إجازاتهم وتقيد آراءهم وتلخيص مؤلفاتهم، فالرحلات العلمية غايات متعددة ومختلفة فهناك رحلات في طلب الحدث وأخرى لمعرفة الأقاليم الجغرافية وقد تكون رحلة تاريخية أو رحلة صوفية والرحلات كانت لا تزال من أسباب تثقيف العقل والنبوغ في العلم فمن خلالها يتم تلاقح الأفكار وتبادل المعارف فالرحلات تعتبر وعاء معرفيا يؤدي دور التواصل بين الأفراد والجماعات، وبين الأقطار المختلفة، فالرحال يتواصل مع الغير منذ خطوة الخروج من عتبة المنزل فالرفاق والطريق والقرى والمدن والعلماء وقطاع الطرق والأولياء والسلطين والأسواق والمساجد كل ذلك مجال لتواصل وإثراء المعارف وتعميق المفاهيم وإدراك لما يجري في المجتمعات من تنوع واختلاف، ومن وحدة

²² - ينظر إبراهيم أحمد العدوي، ابن بطوطة في العالم الإسلامي، دار المعارف، مصر، القاهرة ط3، 1983، ص8.

²³ - ابن خلدون، المقدمة، احياء التراث العربي، لبنان، بيروت، ط6، دت، ص841.

وائتلاف وهناك تواصل آخر عبر الأجيال من خلال الوقوف على الديار والآثار والروايات الشفوية والمكتوبة ومظاهر العمران والاطلاع على العادات والتقاليد وكل ما يميز وحدة اجتماعية على أخرى في التعامل مع القيم والدين ومع الأرض.

3. الباعث السياسي: والرحلات السياسية أنواع منها الإدارية، والسفارية والأمنية فالإدارية هي التي ينجزها الرحالون بتكليف من الدولة خدمة لمصالحها الإدارية وتتعلق بالطرق ونظام البريد وهذا النوع ليس يوجد فيه غير معلومات إدارية ولا يدخل منها من أدب الرحلة إلا بعض الأخبار والحكايات ويمكن إدراج نوع آخر من الرحلات فمن هذا الباعث وهو الحركة التي يجريها السلطان أو من يقوم مقامه لتنفذ الأقاليم والإشراف إلى استتباب الأمن والقضاء على التمرد، ومن ذلك ما قام به السلطان أبو عنان إلى قسنطينة والزاب، وكان ابن الحاج النميري مصاحباً له فسجل رحلته "فيض العباب".

ورحلة أحمد ابن هطال التلمساني والتي سنقوم بدراستها في الفصل الثاني مندرجة في هذا الإطار الذي كان مصاحباً لمحمد بن عثمان الكردي لغرب الجزائر ومن هذا النوع من الرحلات الرحلة السفارية وهي وليدة «... التقدم الحضاري ونشوء الدول التي كانت ترسل مندوبين رسميين نيابة عنها من أجل التفاوض فيما بينها وكان هذا التفاوض يطول مجالات شتى»⁽²⁴⁾، وأقدر رحلة سفارية هي التي لخصها بن دحية في كتابه المطرب من اشعار اهل المغرب وتتضمن سفر يحي بن الغزال موفد من قبل الخليفة الأموي عبد الرحمن بن الحكم إلى ملك المجوس⁽²⁵⁾.

ومن الرحلات السياسية التعليمية رحلة لابن فضلان إذ أرسل ملك الصقالبة إلى الخليفة العباسي المقتدر، وبذلك فالسفرات بين الخلافة الإسلامية والدولة المجاورة لا تعد و لا تحصى ومن هذه الرحلات رحلة الوزير في احتكاك الأسير لمحمد بن عبد الوهاب الغساني التي كانت سنة 1102هـ والتي يقول في مقدمته "وكنت ممن آمن الله عليه لخدمة بابه، وتفضل علينا بالانحياز لجنابة وجهني آدام الله علاه لبلاد

²⁴ - ناصر عبد الرزاق الموفي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص33.

²⁵ - ينظر محمد بن عثمان المكناسي، الاكسير في فكاك الأسير، تحقيق محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي

المغرب، دارالبيضاء دط، ص6 .

الروم لآتيه ممن هناك من أسارى المسلمين وبحث في الخزائن الأندلسية علما أبقاه المسلمون هناك من كتب الأحكام ليكون معه دام مجده كفل من الثواب⁽²⁶⁾. تليها رحلة احمد بن المهدي الغزال الذي قام برحلته وذلك في عهد مولاي محمد بن عبد الله سلطان المغرب إلى ملك إسبانيا كارلوس الثالث هدفها المهادنة بين إسبانيا والمغرب مع افتكاك الأسرى وتكون العلاقة بين الدولتين بتبادل الهدايا واستيراد الكتب النفيسة⁽²⁷⁾.

وبهذا كانت الرحلات لأغراض وبواعث شتى وذلك لاكتشاف والتعرف على مجتمعات مختلفة وتزويد البشرية بأفكار وعلوم مختلفة.

²⁶ - محمد عبد الوهاب الغساني، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، تقديم الفريد البستاني، منشورات مؤسسة الغزال، فرانكو ط1، 1942، ص2.

²⁷ - ينظر احمد بن المهدي الغزال، نتيجة الاجتهاد في المهادنة والاجتهاد، تحقيق اسماعيل العربي، مطبوعات الجامعة الجزائر، ط1، 1984، ص106.

رابعاً : تعريف السرد

01/ لغة:

في لسان العرب يثير ابن منظور للمفهوم اللغوي لسرد « إن السرد مقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقا بعضه في أثر بعض متتابعاً مع رعاية جودة السياق الذي يحتويه» (28).

أما في مقاييس اللغة جاء بمعنى « هو مقدمة الشيء إلى شيء تأتي به متسقا بعضه في أثر متتابعاً وهو النسيج وتداخل الحلق بعضه في بعض» وهو بهذا يعني توالي أشياء كثيرة يتصل بعضها ببعض

كما ورد ذكره في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله سبحانه وتعالى مخاطباً داوود « أَنْ اَعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ». سورة سبأ الآية. 11

02/ اصطلاحاً:

السرد هو «الخطوات التي يقوم بها الحكيم وينتج عليها النص القصصي»⁽²⁹⁾، أي الطريقة التي يتخذها الحاكي في رواية قصة ما، كما أن السرد هو « قص خبراً أو أخباراً أو أحداثاً سواء كان ذلك في صميم الحقيقة أو أشكال الخيال فهو يعد أسلوباً متميزاً لعرض الأحداث أو طريقة للقص الروائي ينقل الراوي أو القاص من خلالها الأحداث إلى المتلقي»⁽³⁰⁾.

كما أن السرد هو " الكيفية التي تروى بها القصة عبر القناة التالية:

الراوي ← القصة ← المروي له

وما تخضع له من مؤثرات بعضها متعلق بالراوي والمروي له والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها»⁽³¹⁾.

²⁸ - ابن منظور، لسان العرب، مادة سرد، ص 165.

²⁹ - سمير المرزوقي وآخر، مدخل إلى النظرية، ديوان المطبوعات، الجامعية، تونس، د ط، 1999، ص 77.

³⁰ - بان صلاح البناء، الفواعل السردية، دراسة في الرواية الإسلامية المعاصرة، عالم الكتب الحديثة، الأردن، عمان، ط 1، 2009، ص 11.

³¹ - حميد لحميداني، بنية النص السردية، المركز الثقافي العربي، لبنان، بيروت، ط 1، 1991، ص 45.

فالحكي إذن يقوم إلا بوجود ثلاثة عناصر يفترض و يستلزم وجودها لأنها ضرورية وهي القصة والراوي والمروي له.

فالسارد: شخصية متخيلة تروي القصة أو تخبر عنها، حيث يلعب دور الوسيط بين الأحداث ومنتقياها.

المسرود له: من يتلقى ما يرسله السارد أو يستمع إليها.

المسرود: هو ما يصدر على السارد، بتنظيم لتشكيل مجموع من الأحداث التي تقترن بأشخاص ويؤطرها في فضاء من الزمان والمكان⁽³²⁾.

كما يعرف السرد بأنه خطاب يقدم حدثا أو أكثر أو يتم التمييز تقليديا بينه وبين الوصف والتعليق وهو ناتج حكاية سرد مجموعة من المواقف والأحداث⁽³³⁾.

ومن خلال هذه التعاريف لمفهوم السرد من الناحية اللغوية والاصطلاحية نستنتج بأن السرد هو تلك العملية التي يتبناها السارد أو الراوي، حين يقوم بحكاية قصة ما، واطلاعنا على حدث أو مجموعة من الأحداث.

³² - ينظر محمد عزام ، شعرية الخطاب السردى، اتحاد كتاب العرب،سوريا، دمشق، د ط، 2005، ص60.

³³ - عبد الملك مرتاض، الف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفككي لحكاية حمال بغداد، المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط 1993، ص 90.

خامسا: نشأة علم السرد

كان السرد كمصطلح محل اشتغال العديد من النقاد العرب والغرب حيث أنه ظهر عند العرب في أوله على شكل قصص وحكايات بسيطة، لكن سرعان ما اتخذ مفهوما علميا له قوانينه التي تحكمه، ولعل الغربيين هم من تطرقوا إلى هذا المفهوم بطريقة منهجية ولذلك سنتحدث عن السرد عند الغرب وعند العرب.

أولا: السرد عند الغرب:

اهتم الشكلاونيون الروس بالسرد اهتماما بالغا فقد وضحو أساسا لثروة منهجية جديدة في دراسة الأدب واللغة بغية تحقيق وخلق علم أدبي مستقل عن كل السياقات الخارجية سواء كانت جماعية تاريخية أو نفسية مركزين في ذلك على الأثر وكما يقال دراسة اللغة في ذاتها ولأجل ذاتها.

وقد وصل الذين «حاولوا اكتشاف علم مستقل مادته الأدب باعتباره ظاهرة فرعية تتضمن أحداث خاصة ومتميزة»⁽³⁴⁾.

ويشير ايخانياوم إلى المآخذ التي سجلت على الشكلاونيون الروس أهمها الغموض الذي يلف آرائهم، وتجاهلهم لعلم الجمال وعلم النفس، ويرجع ذلك لأن دراستهم أنجبت بشكل أساسي على تحليل النص⁽³⁵⁾، وأن ايخانياوم يرى تأثره بالكاتب الألماني لودغيج الذي اهتم بالدراسات الشكسبيرية وهو يؤكد أن هناك شكلين سردين طبقا لوظيفة السرد الأول هو عملية قص الحديث والثاني السرد المشهدي حيث تأتي أهمية الحوار بين الشخصيات في افعالها هذا النمط السرد المتأثر بالسرد لاعتماده على الحوار⁽³⁶⁾، أي أن الشكلانيين يتمثلان في عملية قص الحديث أي الرواية، رواية القصة والتي تعتمد أساسا على الراوي الذي ينقل لنا أحداث القصة من الواقع والسرد المشهدي إي مسرحية الأحداث من حيث الشخصيات.

³⁴ - يوريس ايخانياوم، النظرية الشكلية في نظرية المنهج الشكلي، ترجمة إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان بيروت، ط1، 1982، ص 31-32.

³⁵ - المرجع نفسه، ص79.

³⁶ - ينظر عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، لبنان، بيروت، د ط 1992، ص13.

فكانت بداية الدراسة مع الشكلايين وتوسعت مع البنيويين والمهتمين بعلم الدلالة حيث ينسب بعض الدارسين الدراسات البنيوية للقصص الى كاتب الخرافات للعالم الفرنسي جوزيف بيدلي الذي نشر في القرن 19 ويعود له الفضل في "اكتشاف أن القصة ليست تجميعا غير مستقر لموضوعات غير ثابتة لتأثيرات الجغرافية والتاريخية كان يعتقد معاصروه، وانماهي كائن حي ينمو حول نواة ثابتة وكذا تحسه الطابع العضوي للنواة"⁽³⁷⁾.

كما نجد من البنيويين فلاديمير بروب الذي أجرى بحثا على مئة قصة شعبية وهذه الدراسة اتخذها كثير من الباحثين أساسا لهم ينطلقون من خلاله على أبحاثهم حيث اهتمت دراسة بتطورات المبنى الحكائي « sujet » منذ البداية إلى النهاية مرورا بالوسط وهو بذلك لم يضع أو لم يهتم بالمعنى الفرضي « thematique » للمحكي بل كانت اهتمامه بمقاربة نظمية « syntagmatique »⁽³⁸⁾.

ويعتبر رولان بارت السرد فعلا ممتدا لا حدود له فهو عملية تتسع لتشمل مختلف أنواع الخطاب حيث يقول "أنواع السرد في العالم لا حصر لها، وهي تمثل كل شيء وتنوع كبير من الأجناس، فالسرد يمكن أن تحمله اللغة المنطوقة شفوية كانت أو مكتوبة... وفي كل الأمكنة وفي كل المجتمعات ييدا من تاريخ البشرية ذاته ولا يوجد شعب بدون سرد"⁽³⁹⁾، فهنا إخراج للسرد من معناه النصي الضيق إلى معنى ونطاق اعم باعتباره أساس الحياة البشرية.

ثانيا: السرد عند العرب:

لقد اجمع النقاد على أن الشعر هو ديوان العرب وهذا لا يعني أن العرب لم يعرفوا السرد، وإنما كان جل اهتمامهم بالشعر في مقابل هناك حكايات يتبادلون ويتسامرون من خلالها إلا أن هذه الحكايات كانت تروى شفاهة، ولعل هذا ما أثر على التراث العربي أنه ضاع في مختلف الفنون الأدبية.

³⁷ - عبد الحميد بواريو، منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية، ديوان المطبوعات، الجزائر، دط، 1994، ص84.

³⁸ - ينظر فلاديمير بروب، مورفولوجيا الخرافة، ترجمة، ابراهيم الخطيب، المغرب، دار البيضاء، دط، 1986، ص7.

³⁹ - رولان بارت، التحليل البنيوي لسرد، ترجمة بشير غمري وحسين غمراوي، مجلة الآفاق، المغرب، دارالبيضاء، ج8،

ويعرف رشيد بن مالك السردية بقوله " يطلق مصطلح السردية على تلك الخاصة التي الخاصة التي تخص نمودجا من الخطابات، ومن خلالها نميز بين الخطابات السردية والخطابات غير السردية"⁽⁴⁰⁾، فالسردية هي مجموع الخصائص التي تكون في النص المروي التي نميزه عن غيره من النصوص غير السردية.

والسرد هو فعل الحكي المنتج للمحكي وهو ذلك النص السردى وهذا الأخير لا يتكون فقط من الخطاب السردى وإنما يتكون أيضا من الكلام الذي يلفظ الممثلون فالمحكي يتكون من تتابع وتناوب السارد و الممثلين فالسرد بداية ونهاية وبينما الفعل القصصي أو الحكي من جانب الراوي والراوي هي " سرد الأحداث والشخصيات وعلاقات معينة تحكمها مجموعة من الروابط السردية وبالتالي لا يمكن الدخول إلى عالم الرواية إلا انطلاقا من الرموز التي يشكلها السرد ويشترط في هذه الرموز أن تكون خاضعة لنظام يكشف عن إيديولوجية النص وكيفية تواصله مع الواقع فيصبح نظام التواصل وليس مجرد عرض لأحداث"⁽⁴¹⁾.

والسرد عند سعيد يقطين يعتبر واحد من أهم القضايا التي أثارت اهتمام الباحثين العرب ويرى " أن العرب مارسوا السرد والحكي شأنهم شأن الأمم الأخرى في أي مكان وبأشكال وصور متعددة لكن السرد مفهوما جديد لم يتبلور بعد بالشكل الملائم ولم يتم الشروع في استعماله إلا مؤخرا"⁽⁴²⁾.

وهنا يشير يقطين إلى أن هناك سرد عربيا قديما غير أن الدراسات القديمة لم ترق إلى ما عرفه هذا التخصص من الدراسة في العصر الحديث وقد كانت تمثل إرهاصات سردية لم تتضح فنيا بالمستوى الحديث وقد استخلص يقطين مفهومه للسرد من خلال اطلاعه على دراسات غربية فيراه " نقلا للفعل المقابل للحكي، من الغياب إلى الحضور ويجعله قابلا للتدخل سواء أكان هذا الفعل⁽⁴³⁾ واقعيا أو تخيليا وسواء تم التداول شفاهة أو كتابة أي أن السرد هو كل عملية ابلاغية يقوم بها الراوي أما فيما يخص علاقة الغياب

⁴⁰ - رشيد بن مالك ، قاموس المصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، لبنان ، بيروت، دط، 2002، ص121.

⁴¹ بسام قطوس، شعرية الخطاب وانفتاح النص السردى في رواية اميل حبيبي، مجلة أبحاث الأردن، عمان، عدد2، 1996، ص2.

⁴² - سعيد يقطين، السرد العربى، قضايا وإشكالات، مجلة علامات، ج29، دط، 1998، ص122.

⁴³ - سعيد يقطين، السرد العربى، ص123.

والحضور فهو حكاية غائبة عن الوعي والإدراك تمام ينقلها لنا السارد ويحكىها فتصبح حاضرة في أذهان السامعين.

سادسا : وظائف السرد

إن السرد يرتبط دوره بمجموعة من الوظائف تظهر إذا ظهر السارد في النص وتختفي إذا اختفى فالوظائف هي علامة على وجود السارد في النص، ويمكننا تلخيص الوظائف فيما يلي:

أ/ وظيفة السرد:

«وهي أبرز وظيفة للراوي وأشدّها رسوخا وعراقة ذلك أن أول أسباب تواجد الراوي سرده للحكاية»⁽⁴⁴⁾.

فسرد قصة ما سواء كانت حدثا في الماضي أو في الحاضر أو سوف تحدث في المستقبل بطريقة جمالية يهيمن عليها التشويق وفرق أفق التوقع.

ولسرد وظائف ثانوية تضاف إلى وظيفته الأساسية التي تقترن بوجود الراوي وتختفي باختفائه وتتمثل هذه الوظائف نوعها الثانوي بـ:

1. الوظيفة الإبلاغية: و تتجلى في بلاغ رسالة للقارئ سواء كانت تلك الرسالة الحكائية نفسها أو مغزى أخلاقيا أو إنسانيا⁽⁴⁵⁾، فالسارد أثناء سرده لأحداث القصة فإنه يسعى إلى مخاطبة طرفا ما، الممثل في المسرود له لإبلاغ أحداث ومضامين قصة معينة يريد إيصالها.

2. الوظيفة الاستشهادية: وهي التي يقوم بها السارد بالاعتماد على أقوال غيره سواء كانت إشعار أو أمثال أو غيره وذلك لتأكيد أنه استمد معلوماته من مصدر.

3. الوظيفة الايديولوجية: وتتمثل في قدرة ونشاط السارد في التفسير، وفي هذا يقول جيرار جينت " لكن تدخلات السارد المباشر أو غير المباشر في القصة تستطيع أيضا

⁴⁴ - عبد الرحيم الكردي، الراوي والنص القصصي، دار النشر، مصر، القاهرة، ط1، 1996، ص17.

⁴⁵ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أن تتخذ الشكل الأكثر تعليمة لتعليق المسموح به على العمل هنا يتأكد ما يمكن تسميته وظيفة السارد الإيديولوجية⁽⁴⁶⁾. وبهذا فوظائف السرد نوعان أساسية وأخرى ثانوية، كما أن لرحلة دوافع وبواعث تختلف من رحالة إلى آخر والتي تأخذ من السرد وعناصره الركيزة الأساسية لسير وتطور أحداثها.

⁴⁶ - جيرار جينت، خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم و آخرون، منشورات الاختلاف، مصر، القاهرة ط3، 2003، ص256.

الفصل الثاني



الفصل الثاني

الفصل الثاني: مكونات السرد

05. الشخصيات

06. المكان

07. الزمان

في هذا الفصل سنتناول الدراسة السردية ونتناول فيها على وجه الخصوص دراسة الشخصية والمكان والزمان وهم اهم عناصر السرد.

أولاً: الشخصية:

تعد الشخصية مكوناً مهماً في السرد لا يمكن أن يستغنى عنه الكاتب فهي «العناصر الحيوي الذي يحرك أحداث القصة حيث لا يستطيع أن يصور حياة دون أشخاص يتحدثون ويفعلون»⁽¹⁾.

وكان اهتمام الدارسون والباحثون بهذا العنصر في النص ونتيجة لبحوثهم المتعددة اختلفت وتنوعت مفاهيم الشخصية وقد اختلف بمفهوم التقليدي عن مفهومها العام « فنجد ما كان التصور التقليدي يعتمد أساس على الصفات مما جعله يخلط بين الشخصية الروائية والشخصية في الواقع الحياتي»⁽²⁾.

أما حقيقة الشخصية عند المعاصرين فهو تجاوز دواخلها إلى وظيفتها الخارجية والأدوار التي تقوم بها.

أ/ الشخصية لغة:

وردت في معاجم اللغة «شخص والشخص جماعة شخص الإنسان وغيره مذكر والجمع أشخاص وشخوص وشخاص».

الشخص: سواء الإنسان وغيره تراه من بعيد الشخص كل جسم له ارتفاع وظهور والمراد بها ثبات الذات فاستعير لها لفظ شخص.

والشخص العظيم الشخص، والأنثى شخصية والاسم الشخاصة، وشخص الرجل بالضم فهو شخص أي جسيم وشخص بالفتح شخوصاً ارتفع⁽³⁾.

والشخص يطلق على الإنسان سواء كان ذكر أو أنثى فكلمة الشخص تدل على التباين والاختلاف في العادات والتقاليد الميولات فكل فرد شخصيته يتميز بها عن الآخرين.

¹ - إدريس بودينة، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعة منتوري، الجزائر، قسنطينة، ط1، 2000، ص85.

² - حميد لحميداني، بنية النص السردية، المركز الثقافي العربي، لبنان، بيروت، ط1، 1991، ص50.

³ - ابن منظور، لسان العرب، ص45.

أما كلمة الشخصية فهي مصطلح ظهر في العصر الحديث، وقد جاءت مترجمة عن اللغة الفرنسية من الأصل التي استخدمت فيها كلمة شخص (Personne) وهي مشتقة من الأصل اللاتيني (Personnel)، الذي يدل على القناع الذي يضعه الممثل على وجهه أثناء أداء الدور المنوط به، هذا في بداية الأمر ليصير بعد ذلك تعني الدور نفسه فالشخصية تتجاوز مصطلح الشخص ومن هنا يتضح الفرق بين مصطلح الشخص ومصطلح الشخصية، فكلمة (personne) كلمة تطلق على المنتمي إلى عالم الناس، أي على إنسان حقيقي يكون ذا هوية فعلية ويعيشه في واقع محدد زمنياً ومكاناً، فهو إذن من عالم الواقع الحياتي لا من عالم الخيال الأدبي والفني⁽¹⁾.

وأما الشخصية «فهو كائن ورقي نشأ إنشاءً، وهو كائن حي بالمعنى الفني، بلا أحشاء (...) فالشخصية إذاً عالم الأدب أو الفن أو الخيال وهي لا تنسب إلى عالمها»⁽²⁾.
ب/ اصطلاحاً:

كثير اهتمام النقاد بالشخصية فهي ركن مهم من أركان الفعل السردية، فالشخصية محرك الأحداث في العمل الفني وقد ارتبط الحدث بالقصة ارتباطاً وثيقاً فالفعل إذ لم يتفاعل مع الشخصية يظل بعيداً عن كونه حدثاً فنياً، فالحدث والشخصية إذاً عمل كل واحد لوحده لا يتعدى أن يكون خبراً مخفياً وكفى⁽³⁾.

" ولقد كانت الشخصية في القرنين 19 و20 درجة عالية من الاهتمام ورجعت إليها قيمتها في الرواية ذلك أن للشخصية دور فعال في أي عمل روائي"⁽⁴⁾، فقد لاقت اهتماماً بالغاً من قبل الروائيين خلال هذه الفترة .

¹ - جويده حماش، بناء الشخصية في حكاية عبدو والجماجم والجبل لمصطفى فاسي، منشورات الأوراس، الجزائر دط، 2007، ص79.

² - المرجع نفسه، صفحة نفسها.

³ - بان صلاح البناء، الفواعل السردية، الاردن، عمان، ط1، 2009، ص70 .

⁴ - عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1998، ص86.

ويعرض محمد غنيمي هلال مكانة الشخصية في القصة فيقول: «الأشخاص في القصة مدار المعاني والأفكار المكانة الأولى في القصة إذا انصرفت إلى دراسة الإنسان وقضاياها،.... وتحيا الأفكار في الأشخاص وبحياتها الأشخاص»⁽¹⁾.

01. الشخصيات في الرحلة:

ومن خلال الاطلاع على هذه الرحلة، تبين أن هناك ثلاث شخصيات لابد من الانتباه إليها بتحديد دورها في هذه الرحلة.

أولاً: هناك شخصية الناسخ التي لم يتعد دورها عملية النسخ، وهذه الشخصية حاضرة في بداية الرحلة بالبسملة والاستهلال فلم يتعد منطوقها قول " بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه، قال الشيخ الفقيه، لتحرير النية، لسان الدولة ، وفارس الجولة، أبو العباس سيد أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن هطال التلمساني كثير العلم وصحيح القول رضي الله عنه"⁽²⁾، ثم تختفي بعد ذلك تماما ولا تظهر إلا في نهاية الرحلة من خلال عبارات الختام " كمل تقييد هذه الأوراق عشية يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر الله ذي القعدة سنة اثنين بعد المائتين والألف، على يد عبيد ربه وأحواجهم إليه، المقر بذنبه، وتقصيره، محمد بن البشير بن محمد التلمساني، دارا ومنشأ غفر الله له، ولوالديه ولأشياخه، ولجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، يوم 22 ذي القعدة سنة 1202هـ"⁽³⁾، فمن خلال الفقرتين يتجلى لنا بوضوح العبارات الدالة على طغيان العبارة الدينية، والتي نجدها حاضرة بقوة والتي تمثل تقليدا في النص الأدبي للعصر العثماني ومؤلفاته عموما.

¹ - محمد غنيمي هلال، النقد الروائي الأدبي، دار العودة، لبنان ، بيروت، ط1، 1982، ص571.

² - أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الجزائري، حررها وقدمها محمد بن عبد الكريم دار سويدي، الإمارات، أبو ظبي، ط1، 2004، ص33.

³ - المصدر نفسه، ص 93.

ثانياً: هناك شخصية المخطط والمنفذ للرحلة والقائم بأفعالها والمشرف على كل ما يتعلق بها وما يقع فيها وهذه الشخصية هي شخصية محمد الكبير بصفته السياسية والعسكرية، وبالتالي فهي الشخصية الأساسية المسيطرة على كل أحداث الرحلة، والتميزة بحضورها الدائم في جميع أحداثها وعلى جميع مستوياتها من البداية إلى النهاية وهو ما يعطيها الشرعية أن تأخذ صفة الشخصية المركزية.

ثالثاً: هناك شخصية السارد لأحداث الرحلة ونعني بها شخصية أحمد بن هطال التلمساني وهذه الشخصية تطرح مجموعة من التساؤلات عن علاقتها بأحداث الرحلة، وبالشخصية المركزية فيها ودورها في توجيه الأحداث بالسلب أو بالإيجاب ، بالإضافة أو بالحذف.

أ/ الشخصية المركزية:

هي تلك الشخصية التي بنيت عليها أحداث الرحلة من خلال حضورها المكثف فيها وأثرها الكبير في توجيه أحداثها، إنها شخصية محمد الكبير، فهو المخطط والمنفذ، والمتابع والموجه، لقد حضرت هذه الشخصية بصفاتها السياسية والعسكرية في مختلف محطات الرحلة من بداية التخطيط إلى نهاية إنجاز وتحقيق الهدف، وقد كان حضور هذه الشخصية في الأساس بحركة الجسد التي تعني أن انتقالاتها كانت بالجسد من خلال الحضور الفعلي في مسرح الأحداث وعليه فإن مركزية هذه الشخصية تتجلى بأفعالها لا بأقوالها وذلك شأن الشخصية المركزية في الحركة بسكون الرأء.

وكما هو واضح فإن هذه الشخصية لا تسمع من خلال صوت الأنا الذي عادة ما نسمعه في الرحلات الحجية، ومراد ذلك دون شك ، أن هذه الشخصية تتجزأ الأحداث لا تسردها، ذلك ان النقاد والدارسين خاصة المهتمين منهم بقص الرحلات يتفقون جميعاً أن من يمارس «الفعل في الحركة شخصية مركزية، وتترك السرد لشخصية مرافقة تامر بأوامر الشخصية الأولى عبر محطات الطريق المادي والسردى»⁽¹⁾، وعليه فإن إبراز قيمتها وأهميتها، والتبشير بانتصارها وتحقيق هدفها، تكفل بها السارد الذي عهد من البداية أن يلمح إلى طبيعة النهاية، فالاعتماد على الصور المثالية وإبرازها لبطل هذه الرحلة «قانع المبعضين ومدوخ المارقين من جمع الله له خصال الشرف والمجد، وموجات الشكر والحمد

¹ عبد الرحيم مودن، الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، دار السويدي، الامارات، أبو ظبي، ط1، 2006، ص85.

محل الجلال والعظمة والجود المخصوص بنهر الآراء والبنود والأأيادي العميمة...»⁽¹⁾، لقد عمل السارد من خلال هذا الكلام الاستفتاحي، أن يضع الشخصية المركزية في أعلى مقام وقد استطاع فعلا أن يعطي لها جميع الصفات التي تهيب المتلقي وتجعله ينتظر إحداثا تنبئ فعلا عن شخصية مركزية، تبدو في صورة البطل المتشبع بالثقافة الدينية التي فرضت نفسها في العصر العثماني «الذي يعتبر بالعرف الروحي الذي تسلمته كل الطبقات الاجتماعية وانجذبت إليه كل الفئات»⁽²⁾، أكثر من ذلك تنبئ بصورة البطل المثالي، الذي يقهر الظلم والطغيان ويتفوق على الأقران، ويتميز بالخلق الرفيع وحسن الصنيع، ونجدة الصريح، وتلك هي الصفات التي كثير ما تغنى بها العرب ووشحة بها قصائدهم التي نظموها في مدح السادة والخلفاء والأمراء.

لقد كانت الشخصية المركزية في هذه الرحلة نقطة الارتكاز الأساسية التي خضع لها كل ما فيها، فهي شخصية فاعلة متحركة آمرة ناهية، وقد ظهرت هذه الشخصية دوما في «حالة فعل سواء كان هذا الفعل عسكريا أو فعلا رمزيا من عطايا وهبات»⁽³⁾، وهو ما تؤكد صورته التي نجدها عليها في مختلف مراحل الرحلة، حيث ظهرت منذ البداية بصورة العسكري الذي لا يتحرك إلا بيزاد وجيش، واضعا نصب عينيه أسوأ الاحتمالات، فقد " جمع مجموعة وقواده ونشر أعلامه، ولم يزد أن كان جيشه حشمه وخدامه، وفي يوم الخميس من ربيع الأول بقومه وعسكره"⁽⁴⁾.

وهذه الصفة العسكرية لم تمنعه من تقبل الهدايا ممن توسموا فيه الخير من أهل دائريه المنتمية لسلطته" فبعض أهل دائرة سيدنا الباشا، نصره الله بعث فرسا اثني من عتاق الخيل محبة ورغبة في سيدنا وعلى هذا الأساس تصبح الشخصية المركزية في هذا النوع من الرحلات قائمة على تقابلات ثنائية محكومة بطبيعة الرحلة مثل: التمرد، الصديق والعدو، السلم والحرب، الانتصار والهزيمة.

¹- أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب، ص 35

²- الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، المغرب، دار البيضاء، ط 1، ص 68.

³- عبد الرحيم مودن، الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، ص 102.

⁴- أحمد بن هطال التلمساني، رحلة الباي محمد الكبير، ص 37.

وحتى تكتمل الصورة المثالية الشخصية محمد الكبير صورتها العسكرية فقد تجلت فيها صفات المسلم المتميز بالإنسانية، والمستفيد من وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، جيش المسلمين أسامة بن زيد فمحمد الكبير الإنسان المتميز والمتشبع بالقيم الإنسانية نبه « أن المرأة لا يتعرض لها، و لا يأخذ أحد شيئاً من لباسها، صونا لحرمتها وتزريها من حقارتها، فلما رأى ما حل بهم أدركته الشفقة عليهم، فأمر بإطلاق الشيوخ والصبيان وترك الكهول والشبان... وكان أكثر ما أدركته الرقة حيث رأى شيخا كبير السن من ذرية بعض الصالحين أنه لا يقدر على المشي، أمر خدامه أن يحملوه وكساه وأعطاه دراهم»⁽¹⁾.

وفي موضع آخر «أوصى جيشه على الأشجار والنخيل، فلا يقطعون شيئاً منها ومن قطع شجرة أو نخلة فالله حسبه ومتولي الانتقام منه»⁽²⁾.

والملفت للانتباه في هذه الشخصية، إنما بعيدة كل البعد عن مظاهر البهجة وحب الظهور فلم تبرز هذه الشخصية بصورتها الجسدية، وإنما بررت بصفاتها المعنوية الحمد له في الحلم، والعلم، والشجاعة والقوة وغيرها من صفات الأبطال و الرجال.

كما لم تبرز من خلال لعبة الضمير على مستوى السرد بضمير المتكلم، وإنما تجلت بأقوالها وأفعالها من خلال أكثر الضمائر استعمالاً في السرديات القديمة على وجه الخصوص الشفوية منها والمكتوبة أي نميز الغائب الذي يعود عليها كشخص موجود في هذا الوجود وضمير الغائب كما هو موجود في الرحلة يعتبر من أشهر الضمائر وأكثرها تداولاً في السرد قديماً وحديثاً حيث أن بعض النقاد كعبد المالك مرتاض بصفونه: " بسيد الضمائر السردية الثلاثة، وأكثرها تداولاً بين السرد أيسرها استقبالا لدى المتلقي، وأدناها إلى الفهم لدى القراء"⁽³⁾، وتوظيف ضمير الغائب لدلالة على الشخصية مدح وتعظيم وخدمة لها وتلك حقيقة زادها كاتب الرحلة وصرح بقوله: " وقد أردت أن أذكر منه نبذة أخدم بها حضرة قانع المبغضين"⁽⁴⁾، وبذلك تبرز هذه الشخصية كشخصية عظيمة، تذكرها أفعالها ويحكم عنها تاريخها، ويمجدها غيرها ولا تحكى عن نفسها عن ضمير الأنا.

¹ - أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير، ص 39.

² - المصدر نفسه، ص 55.

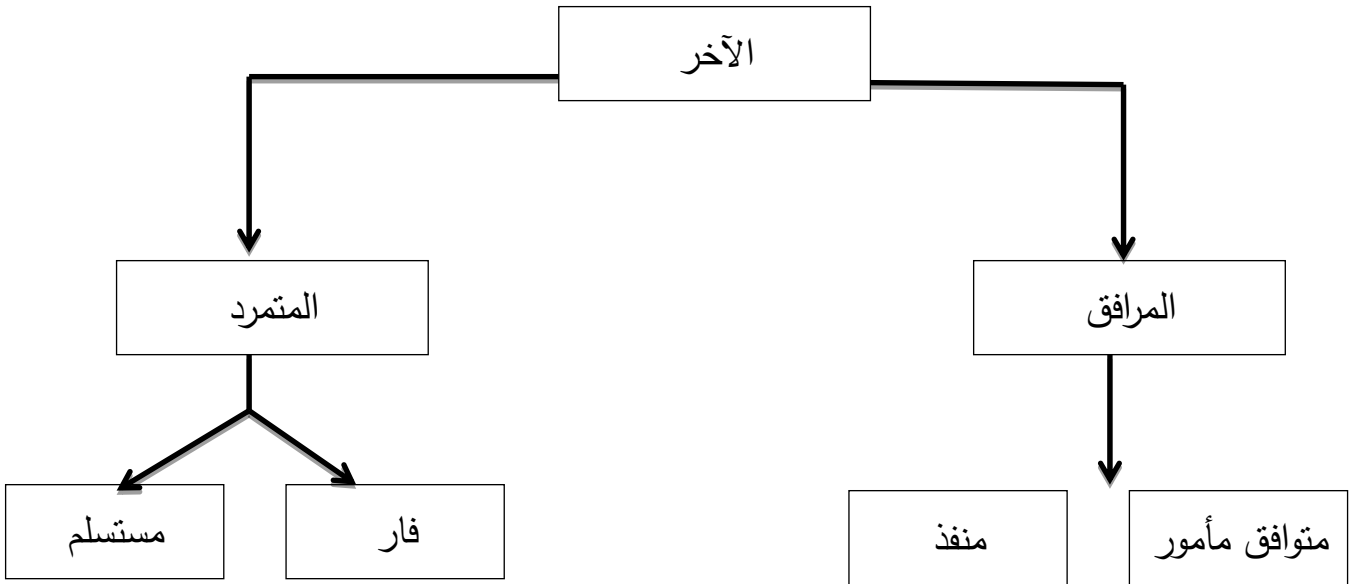
³ - عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 177.

⁴ - أحمد بن هطال التلمساني، رحلة البايع محمد الكبير، ص 39.

ب/علاقتها بالآخر:

لا شك أن الشخصية المركزية في هذه الرحلة ليست وحدها ولن تكون، فالمنطق يفرض تواجد شخصيات أخرى على مسرح الأحداث، هي التي تساعد على الظهور وتسمح لها أن تتحرك وتعمل، فالشخصيات الأخرى بالنسبة للشخصية المركزية كالماء للسمة، ذلك أن الشخصية مهما كانت لا يمكنها أن تعيش وحيدة منعزلة.

ومن خلال اطلاعنا على الرحلة وقراءتها تبين لنا أن تعامل السارد مع الشخصيات كانت تحركه نظرة خاصة للآخر، قائمة في الأساس على السعي الحثيث لإبراز هذه الأخر في خدمة الشخصية المركزية، حيث عدت هذه الشخصية في هذه الرحلة جميعها تمثل الأخر الذي يمكن أن نقسمه إلى قسمين اثنين على الشكل الآتي الذي يوضحه الجدول التالي:



لقد مثل الآخر المرافق هنا أفراد الجيش الذين يمكن اعتبارهم شخصية جماعية، وهم الذين ينتمون لنفس الثقافة ونفس الاتجاه الذي تنتمي إليهما الشخصية المركزية، لذلك تجدهم على توافق تام، يوافقونها الرؤية، ويشاركونه الحلم، وقد ظهوروا في الرحلة بصورة المجاهد الذي ينفذ الخطة، ويستجيب للأوامر، ويسعى للانتصار.

كما نجد على مستوى الرحلة الآخر الذي جاء بصورة الفرد المعروف باسمه ونسبه والذي تجلى كشخصية مرموقة أخذت مكانتها ،وبرزت قيمتها ،بفضل الشخصية المركزية التي وثقت بها وبإمكانياتها ،فكلفتها بالمهام الجسام. الأمر هنا يتعلق بمن "كان مصاحباً له في هذه المحلة قرّة ناظره ،وعضد ساعده ،صاحب الفخرو الامتتان ،جامع شتات الفضل والإحسان ،وارث مجده ابنه السيد عثمان فأمره أن يقوم بأمر المحلة ويسير بها رائداً من غير عجلة⁽¹⁾. فطريقة التعامل مع هذه الشخصية من خلال اللغة المستعملة ،شبيهة الى حد بعيد باللغة المستعملة في الحديث عن الشخصية المركزية ،وهذا يعتبر أمراً طبيعياً من منطلق أن علو همة الابن ولمعان صورته، هو في الأصل تلميح لصورة الشخصية المركزية.

ونموذج مثل هذه الشخصية (نعني شخصية الابن) لا يتكرر كثيراً ؛ إذ أننا لم نجد مثلها في هذه الرحلة إلا مرة واحدة، حين قام البايع محمد الكبير بتكليف مشابه تماماً لتكليف ابنه، كان ذلك عندما عزم الخروج لقتال أهل الزينة لكنه « استصغروهم في عينيه فعلت همته أن يتولى قتالهم بنفسه، فأمر خليفته و متولي خدمته، من له قدمه في المفاخر السيد محمد بن عبد الله أن يذهب إليها و يرجف بخيله و ركابه عليها، وحيث سمع كلامه نهض إليها و أخذ معه بعض العسكر»⁽²⁾.

وبالرغم من السيطرة الكاملة للشخصية المركزية على القول والفعل، والأمر والنهي أو هكذا أراد لها مقيد الرحلة و سارد أحداثها أن تكون ، إلا أنها في الأحداث الكبرى نجدها تعتمد إلى الشورى وتطلب المشورة من كبار القوم وأركان الدولة الذين تتوسم فيهم الرأي النصيح والحزم الصريح، مثلما حدث مع أحداث الأغواط حين « رجع إلى محلته، وجمع كبار قوم، وأرباب دولته، واختبرهم في كيفية قتالهم، لينظر سيدنا رأي القوم، ويدفع بمشاورتهم عنه اللوم، فوجد الكل متفقين على رأيه، ومسلمين أمره إليه⁽³⁾، وتلك علامة من علامات القيادة الناجحة.

¹ - أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير، ص 42.

² - المصدر نفسه، ص 49.

³ - المصدر نفسه، ص 56.

أما الآخر العدو المتمرد، فإنه بالنظر لطبيعة إستراتيجية كاتب الرحلة المعلنة منذ البداية، فإنه سوف لن يكون إلا آخر سلبيا، مقابلة بالآخر المرافق، وعليه فإن تجليات هذا الآخر سوف لن تكون إلا في صورة الفار المستغني عن أملاكه وموطنه « فلما رآه أهل تلك القرية ، علموا أنهم لا قدرة لهم ولا طاقة لملاقاته، فخرجوا منها بأجمعهم، ولم يأخذوا شيئا من أمتعتهم و قوتهم، و تركوها خاوية على عروشها، أسيرة في يد ممقوتها، فدخلها من غير حصار عليها و لا قتال»⁽¹⁾، أوفي صورة المستسلم الصاغر امام السلطة، «مثل أولاد صالح، وأولاد يعقوب " القبالة "، وأولاد يعقوب" الغرابة " وغيرهم. كلهم أتوا بالقادة طالبين الأمان لأنفسهم متحملين لما فرض عليهم»⁽²⁾.

إن الفرار أو الاستسلام كلاهما يعني قوة السلطة وتمكنها من فرض سلطتها، وهذا يعني أن الآخر خدم الشخصية المركزية بصفة أو بأخرى.

ج. السارد:

أي مؤلف الرحلة أو بعبارة أخرى كاتبها الرسمي، الذي أخذ صفة الرسمية من كونه أحد أعوان الشخصية المركزية المرافق لها في الرحلة التي زحف من خلالها إلى الجنوب قصد تأديب المتمردين وضم الخارجين عن سلطان الدولة، بل يعتبر من أقرب المقربين لهذه الشخصية، ويكفي دلالة على ذلك، كما أشرنا من قبل، أنه اختاره مبعوثا خاصا له، يبلغ رسالاته للحكام ويتكلم بلسانه معهم. المقصود هنا أحمد ابن هطال التلمساني، الشخص المعروف باسمه ونسبه ووظيفته، وبالنظر لما قلنا أنفا و من خلال اطلعنا على مجريات أحداث الرحلة كما نقلها لنا السارد ، فإنه كان على توافق تام مع الشخصية المركزية، إلا أن العلاقة بينهما بقيت علاقة حاكم بمحكوم، مما يجعله كغيره مأمورا و منفذا للأوامر.

و بالرغم من أن السارد كان مرافقا وفي بعض الأحيان مشاركا في الأحداث، إلا أننا ألفيناه حريصا على أن ينأى بنفسه عن الظهور، رغبة منه أن يترك مجال الأفعال مقصورا على الشخصية المركزية، التي تمثل السلطة رغبة في إظهارها في صورة البطل الأوحد، وما يدل على رغبة السارد بعيدا عن الأحداث في الرحلة فذلك يتجسد من خلال ظهوره بصورة ذلك النوع من السارد، الذي يطلق عليه النقاد" السارد بضمير الغائب" ، ويبدو ذلك واضحا

¹ - احمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير ، ص75.

² .المصدر نفسه ، ص44

من خلال تركيزه على استعمال هذا الضمير مركزا على أفعال ذات دلالات تتناسب طبيعة الرحلة و الغرض منها ، مثل : خرج ، نزل، أقام، ركب، زجر، عزم، أمر، أوصى أسر عفا... الخ لقد سعى ابن هطال عبر مختلف محطات الرحلة أن يظهر بصورة الراوي الشاهد على الأحداث، ولذلك لأنه أراد أن يجعل من الشخصية المركزية محور الأحداث والوقائع جميعها ، فإنه لم يوجد في الرحلة على ضمير المتكلم متصلا بالأفعال والأحداث إلا نادرا وقد كان ذلك في محطات متفرقة في الرحلة، كما في قوله: « و ركب مساء يوم الاثنين وقت المغرب، ومررنا بموضع يسمى " اللفيحة " فنزل فيه بعض الليل»⁽¹⁾. وكذلك في قوله: «أصابنا الثلج في الطريق حتى نزلنا...»⁽²⁾.

كما ظهر في الدعاء في ختام الرحلة « فقد انتهى ما كنا أردنا جمعه... فله الحمد على ما من به من إكماله، والشكر له على ما منحنا من إنعامه»⁽³⁾، وقوله: « وإنما اشتغلوا بتوسع طريقها، وقطع جناحها، حتى أننا إذا حملنا عليها بعد اليوم لم نجد ما يشغلنا عن قتالهم»⁽⁴⁾.

ومن خلال هذه الأفعال المقترنة بضمير المتكلم الجمع، تؤكد وتثبت بأن السارد أو الراوي كان مشاركا في الرحلة ، إلا أنه أثر البقاء خارج حكايتها ، و تلك هي طبيعة السارد في هذا النوع من الرحلات باعتبار أن « سارد الحركة مجرد شاهد يحكي من خارج الحكاية بالرغم من وجوده في ركاب الحركة، فهو لا يحكي إلا من خلال ذات أخرى تعيش حكايتها فعلا و قولا »⁽⁵⁾ وهذه الذات ماهي إلا الشخصية الرامزة للسلطة والممثلة لها. وبذلك تفاعلت الشخصيات الثنوية مع الشخصية المركزية فكان لكل منهما اثر في سير احداث الرحلة فكاملتا كل منهما الآخر.

ثانيا: المكان:

¹ - عبد الرحيم الكردي، السرد في الرواية المعاصرة الرجل الذي فقد ظله نموذجا ، دار الثقافة، مصر، القاهرة، ط1 ، 1992 ص150.

² - احمد بن هطال التلمساني، ص39.

³ - المصدر نفسه، ص82.

⁴ - المصدر نفسه، ص57.

⁵ - المصدر نفسه، صفحة نفسها .

يعتبر المكان عنصراً أساسياً من عناصر السرد، التي يبني وفقها العمل الأدبي، فكل عمل سردي يحتوي على أحداث وشخصيات مقابل وجود زمان ومكان، فهما يمثلان وجهة لعملة واحدة فلا يكون الأول إلا بوجود الآخر في تشكيل البنية القصصية التي تدور فيها الأحداث وتتمارس فيها، فالمكان «لا يعيش منعزلاً عن باقي عناصر السرد، وإنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية كالشخصيات والأحداث والرؤى الشخصية»⁽¹⁾.

فالمكان هو الحيز والإطار الذي تدور فيه مختلف الوقائع والأحداث، فهو الهيكل الذي تنطلق منه الأحداث وتتمارس فيه الشخصيات أدوارها فلا وجود لشخصية تتحرك في فراغ، فالمكان لا تختلف ولا تقل أهميته عن باقي العناصر الأخرى المكونة لقصة معينة فمندبلزك «أصبح المكان عنصر حكايا مهما»⁽²⁾، فالعمل الفني تدور أحداثه داخل مساحة هذه المساحة ما تعرف بالمكان، ولقد أولاه كل من الأدباء والفلاسفة وغيرهم اهتماماً بالغاً فمنذ وجود الإنسان وهو مرتبط بالمكان الذي ولد وعاش ومات فيه وبهذا لا يمكن أن نتصور أحداثاً تقع خارج المكان بل لا بد أن تقع في فضاء مكاني حقيقي⁽³⁾.

فالمحور محور أساسي في دراسة أي عمل أدبي فالحدث لا يمكن تصوره إلا ضمن إطار مكاني محدد فهو «الإطار الذي تنطلق منه الأحداث وتتمارس فيه شخصيات تحركاتها ويمثل المرأة العاكسة لحالتها النفسية فالشخصية لا تكتسب أهميتها إلا من خلال تفاعلها مع المكان المتواجدة فيه فيتعدى المكان كونه مجرد خلفية للأحداث بتفاعله مع الشخصيات والأحداث والزمن»⁽⁴⁾.

ولعل من أهم ما كان له الاهتمام البالغ بالمكان الفيلسوف غاستون باشلار حيث قدم دراسة عامة لشعرية الأمكنة والقيم الرمزية المرتبطة به، فهو أول من تحدث عن الفضاء في الأدب من خلال كتابه جماليات المكان وشعرية الفضاء، وفي رأيه المكان لا يتحدد بأبعاد الهندسية وموقعه الجغرافي وإنما بسكانه⁽⁵⁾.

¹ حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، لبنان، بيروت، دط، 1990، ص 16.

² فريدة إبراهيم بن موسى، زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية، دار غيداء، الاردن، عمان، ط1، 2011، ص 112.

³ ادريس بودينة، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ص 85.

⁴ فريدة إبراهيم بن موسى، زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية، دراسة نقدية، ص 112.

⁵ ينظر حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 25.

فالمكان هو عنصر من عناصر الدراسة السردية الأخرى من شخصيات وزمان وتكمن أهميته في كونه، المسرح والإطار الذي يتحرك فيه الشخصيات للقيام بالحدث «وقد يلجأ السارد لإعطاء لمحة عن الشخصيات من خلال مكان سكنها»⁽¹⁾.

وفي تعريف آخر للمكان بأن المكان « هو مسرح الأحداث ولاختياره ضبط الحوادث في آثاره وجود علاقة مباشرة لجودة التكوين القصص»⁽²⁾.

وبهذا فالمكان له مكانته الخاصة في العمل الأدبي باعتباره عنصر فنيا قائما وللمكان أسماء ومصطلحات عديدة ومتنوعة عند الكثير من الدارسين باسم الفضاء عند البعض والحيز عند البعض الآخر... وغيرها، فحسب الدارس حميد لحمداني فهو يفضل مصطلح الفضاء ويرى أن « الفضاء أشمل من معنى المكان، هذا الأخير الذي يمكن عده جزءا من الفضاء، فقد تحوي الرواية مجموعة من الأمكنة ، شارع، مقهى، ساحة ... ومجموعها بشكل فضاء الرواية»⁽³⁾.

في حين هناك من يفضل مصطلح الحيز بدل المكان والفضاء بقوله « إن الحيز ينحرف استعماله إلى النتوء والوزن والنقل والحجم، أما الفضاء فمعناه جاريا في الهواء»⁽⁴⁾.
وباعتبار المكان هو المكان الذي تجرى فيه أحداث القصة فالحديث عن المكان حديث عن شبكة العلاقات التي تربط الشخصيات بمجريات القصة، فعلاقته بكل من الزمان والحديث والشخصيات هي علاقة القميص بالجسد، يستحيل تناوله بمعزل عن هذه العناصر السردية فالحديث عن أحداثها يستدعي الحديث عن الآخر فهناك من تحدث عن الارتباط الوثيق بين الزمان والمكان أي الزمان كميخائيل باختين والاختلاف بينها يكمن في طبيعة الإدراك كل منهما والأداء الوظيفي الذي يقوم به كل من الزمان والمكان فطريقة الإدراك الزماني والمكاني « الزمان يرتبط بالإدراك النفسي، أما المكان فيرتبط بالإدراك الحسي»⁽⁵⁾.

¹ - بان صلاح البناء، الفواعل السردية، ص25.

² - أنغام الجندي، الرائد في الأدب العربي، دار المأمون، الاردن، عمان، ط1، 1979، ص827

³ - حميد لحمداني، بنية النص السردى، ص63

⁴ - عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 12

⁵ - فريدة ابراهيم بن موسى، زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية، دراسة نقدية، ص112

وقد يسقط الإدراك النفسي على الأشياء المحسوسة لتوضيحها والتعبير عنها، ومن هذا يتوضح الاختلاف بين كل من الزمان والمكان غير أن في المقابل تتوضح العلاقة الوطيدة بين كل من الزمان والمكان « فبينما يدرك الزمان إدراك غير مباشر من خلال فعله في الأشياء، فإن المكان يدرك حسياً مباشر»⁽¹⁾، والتمايز الحاصل بينهما يتجلى أيضاً في الوظيفة التي يقوم بها « فالمكان يمثل المسرح أو الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية، أما الزمان فيتمثل في هذه الأحداث ذاتها»⁽²⁾، فاعتبار المكان هو الهيكل والاطار التي تجري فوقه الأحداث والزمان هو نظام تعاقب هذه الأحداث فهو يسير الأحداث نفسها.

إن عنصر المكان وعلاقته بالشخصيات والعناصر الأخرى استطاع أن يثبت وجوده فعلاقة المكان بالشخصيات هي علاقة تآثر وتأثير فالمكان يكسب «حقيقة من خلال اختلاف الشخصية فيعرض طبيعة الصفات المشكلة للمكان (...). وهي كلها صفات تمثل البعد الآخر لشخصية أي المرأة العاكسة لأوجاعها»⁽³⁾.

فمعرفة المكان تبرز لنا ملامح الشخصيات والتأثير المتبادل، فالشخصية لها دور في إعطاء وإبراز صورة عن المكان الذي تقطنه «إذ وصفنا البيت فقد وصفنا ساكنه والعكس فإن الشخصية أثرا بالغا في المكان الذي تقطنه، وهي العامل المؤثر (تبنى وتهدم وتطور وتأثيرها بوصفها عاملا ضمن أبعاد جغرافية محددة»⁽⁴⁾.

فحرية الفرد تتجسد من خلال اتساع المحيط الذي تعيش فيه فللمكان علاقة وثيقة بالحالة النفسية لشخصية، فهو يكشف الحالة الشعورية الفكرية أو النفسية لشخصيات.

وبهذا فالمكان أهمية في سير أحداث القصة فهو الإطار أو الهيكل التي تقع فيه هذه الأحداث وهو يشكل عنصر أساسيا في السرد والدراسة السردية، فهو انتماء لكل فرد من الأفراد في هذه الحياة يؤثر فيهم ويترك فيهم أثره عليهم وله الدور الكبير في تكوين هوية الإنسان، بل إن إشكالية المكان تتعلق بالإنسان مباشرة وعليه فهو الذي يجعل من أحداث

¹ - صالح ولعة، المكان ودلالاته في رواية مدن الملح لعبد الرحمن منيف، عالم الكتب الحديث، الاردن، عمان، ط1، 2010، ص43.

² - بان صالح، البناء، الفواعل السردية، ص22.

³ - فريدة إبراهيم بن موسى، زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية، دراسة نقدية، ص112

⁴ - بان صالح، البناء، الفواعل السردية، ص26.

الحكاية المتتالية الوقوع كما يكسبها كذلك طابع الواقعية فلا يمكن لنا أن نتصور حكاية ما إلا ضمن هذا الإطار المكاني الذي يحدده السارد ولكل حادث مكان يقع فيه ويتحرك من خلاله.

إن الزمن الحكائي لا بد له من مكان والشخصيات كذلك لا بد لها من فضاء تتحرك فيه إذن فلا غنى عن كل عنصر من هذه العناصر ، والمكان يتجسد بنية كما يتجسد سياقاً لأن النص مرتبط بالمكان نصاً وموضوعاً وكتابة (...) وهو عتبة أخرى يمكن الدخول من خلالها إلى النص⁽¹⁾، فالحكاية عموماً يحدد لها السارد مكاناً، سواء كان المكان حقيقياً أو خيالياً إلا أنه لا بد من حضوره فكما أنه بنية فهو كذلك سياق نصي.

كما أن " تعيين المكان في الرواية هو البؤرة الضرورية التي تدعم الحكيم، وتتقص به في كل عمل تخييلي، باعتبار المكان يحدد طبيعة الشخصيات، وإحداثيات تحركاتها وفقاً لطبيعة سلوكية معينة، وفي المقابل يضيف على الزمن أو يملي عليه الفضاء الذي يتموقع فيه⁽²⁾، فالمكان إذن هو عبارة عن ركيزة تدعم السرد، لأنه لكل مكان طبيعة تطبع سلوكاً أفرادها، وعليه فالسرد يطبع سلوك الشخصيات، وتحركاتها، وانتماءاتها، وتصرفاتها، ولكل مكان شخصية محددة تظهر في سلوكها.

وفي هذه الرحلة تجلت فيها صورٌ لبعض المدن تشكلت من خلالها صورة نقلها لنا السارد عن طريق اللغة هذه المدن التي اعتبرت كعلامات بارزة بأهميتها وقوة حضورها عبر مختلف محطات هذه الرحلة الحركة، وبهذا فلبعد المكاني حضور قوي فيها، فهو من أهم الضروريات الفنية المندرجة ضمن رحلة باي الغرب، ولا تقل أهميته عن باقي العناصر، إذ غير من الممكن أن تقع الأحداث في فراغ ومن هذه الأمكنة نذكر:

أ/ المعسكر مدينة الانطلاق:

والمقصود والمقصود بها مدينة معسكر بالغرب الجزائري، فهي تنتمي إلى المدن الواقعة تحت سلطة الشخصية المركزية، فهي عاصمة بايليك الغرب الجزائري، وبالتالي فهي لا تمثل هدفاً وقد يكون ذلك من الأسباب التي جعلت الحديث عنها قليلاً، وحضورها في

¹ - محمد الصالح خرفي، فضاء النص (دراسة نقدية)، منشورات ارستيك، الجزائر، ط2، دت، ص61.

² - عبد القادر بن سالم، السرد وامتداد الحكاية قراءة في نصوص جزائرية وعربية معاصرة، اتحاد الكتاب الجزائريين الجزائر، دط، 2009، ص39.

الرحلة لم يأخذ حيزا كبيرا، ففي بداية الرحلة لم تذكر إلا بجملة واحدة" من المعسكر التي هي وطنه"⁽¹⁾، إلا أن الأمر اختلف في نهاية الرحلة بعد إنجاز المهمة، والعودة المضفرة، فقد أصبحت هذه المدينة تمثل نقطة الوصول بعد أن كانت من قبل تمثل نقطة الانطلاق، فقد أصبحت معسكر وما يدور بها من قرى ومداشر، محط أنظار الأهالي المتوافقين مع شخصية الباي محمد الكبير، الذين توافدوا عليه وعلامات الابتهاج و الفرح بادية عليهم وهم ينتظرون عودة بطل منتصر « ثم جعلت الناس ترد عليه من "المعسكر" مثنى وفرادى وجماعات واستمر فعلهم على ذلك الحال إلى البيات وقد تباشر بقومه الدهر وقابل الأيام حتى صارت من حسناتها كالمواسم والأعياد وعم خصبه الأهل والرعية و البلاد فزال عنهم كل غم وارتفعت عنهم الأحزان والأنكاد....وقد تضاعف الفرح في ذلك اليوم، ويات أكثر الناس يراقب الصبح.... ودخل المعسكر و قد تم له ما أرادته من الأشياء»⁽²⁾.

وهكذا عمت الاحتفالات بمدينة معسكر لتصبح بذلك المدينة التي انطلق منها محمد الكبير غازيا وإليها عاد غانما.

ب/ مدن العبور:

مادام هناك مدينة أطلقنا عليها صفة نقطة المنطلق، فإن ذلك يفترض أن تكون هناك مدن للعبور والتعامل مع الآخر قبل الوصول إلى نقطة الهدف، و ما دام الأمر يتعلق بحملة عسكرية فإن الأكيد أن هناك " محلة " تمثل جيشا بجميع مكوناته، من قادة وعدة وعتاد ينتقل عبر محطات محددة، يتخذ من بعضها أماكن للاستراحة واستعادة الأنفاس ومراقبة التنظيم، وأماكن العبور في رحلة محمد الكبير عديدة ومتنوعة، بين قرى، ومداشر وجبال ووديان ومن أهم المدن الذي ذكرت في مسيرة الرحلة العسكرية نذكر:

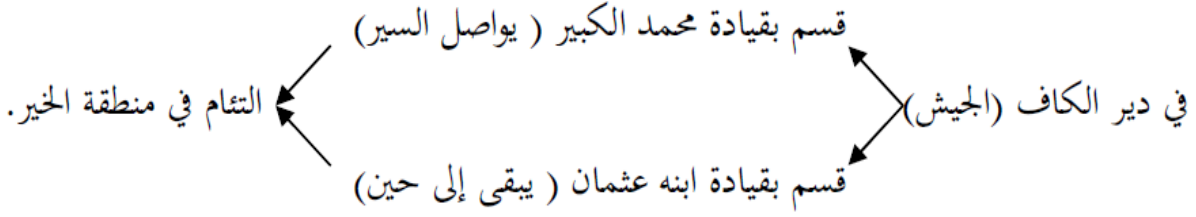
• ديرالكاف:

بالرغم من أنها لم تذكر إلا بالاسم ، إلا أنها تعتبر من الأماكن الهامة في الرحلة التي تكشفت فيها خطة محمد الكبير في هذه الغزوة، و التي بنيت على تقسيم الجيش إلى

¹ - احمد بن هطال التلمساني ، رحلة محمد الكبير ، ص36.

² - المصدر نفسه ، ص 90 - 91.

قسمين قسم يكمل المسير والآخر يبقى ليكون حاميا لظهر الأول⁽¹⁾ مثلما يوضحه الرسم التالي:



• البيضاء:

وهذه المدينة مبرمجة كمحطة للراحة والتزود، ومما يؤكد ذلك الحديث عن منابع مائها المتعددة و آبارها الكثيرة، وفي هذه المدينة « استسقت الناس و علفت دوابها»⁽²⁾، ونفسه ما قيل عن هذه المنطقة يقال على موضع يسمى " اللفيحة نزل فيه بعض الليل للاستراحة⁽³⁾ ولا شك أن الاستراحة في الليل في موطن من المواطنين، دليل على أمنه وانعدام الخطورة فيه.

• الخضراء وتاويلة:

تمثل المنطقتان صورة المدينة المغلوبة على أمرها، فقد وقعتا بسهولة في يد جيش محمد الكبير «فأهلها من الرجال و النساء لما سمعوا بقدومه قبل وروده عليهم، هربوا بأنفسهم وذرياتهم، وتفرقوا في رؤوس الجبال»⁽⁴⁾.

وهما « مدينتان كل واحدة لها بساتين كثيرة، وماء غزير ومزارع، إلا أن تاويلة أكثر عمارة ، وأوسع مزارع...»⁽⁵⁾.

¹ - احمد بن هطال التلمساني رحلة محمد الكبير الى الجنوب الصحراوي ، ص42.

² - المصدر نفسه ، ص37.

³ - المصدر نفسه، ص38.

⁴ - المصدر نفسه، ص41.

⁵ - احمد بن هطال التلمساني رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي ، ص40.

• الخير:

والخير كما وصفها ابن هطال « منزل فيه ثلاث عيون، كل عين منها في غاية ما يكون في صفاء الماء وقوته، واتساع الأرض التي تسقى به، ثم تلك العيون مفترقة في أماكن ينابيعها»⁽¹⁾.

فهي مدينة اتخذت أهمية كبيرة بالنسبة للرحلة والتي استمدت أهميتها من كونها المكان المتفق لإعادة الجيش بعد أن قسم إلى قسمين لدواعي أمنية.

• الدبداب:

وتسمى أيضا "أبو شكوة" وقف عندها ابن هطال و دقق في وصفها فقال: « وكما يسمى الدبداب يقال له: " أبو شكوة " أيضا، و " الكرط " في جهته الشرقية على نحو الميلين وفوقه " حاس الحمار " على نحو ثلاثة أميال والجبل الذي في قبلته يسمى " الأخضر " وفي طرف الأخضر من جهة الشرق قرية تسمى " الشارف " ... »⁽²⁾.

وفي هذا الوصف لا نحس فيه بجغرافية المكان بقدر ما نحس أنه وصف دقيق لموقع هذا المكان على الخريطة، وموقعه بالنسبة للمناطق المجاورة له، من خلال تحديد الأبعاد والمسافات، ما يعني أن أهميته لا تكمن في ذاته بل في علاقته مع غيره من الأماكن.

ج - الأغواط المكان المتمرد / الهدف:

وهي المدينة التي أوليت لها الأهمية الكبرى والقصوى باعتبارها تمثل المكان المتمرد الذي كان مسرحا للأحداث الجادة التي اختبرت من خلالها قوة السلطة، وبعد أن كانت المدينة رمزا للمكان المشيد بقلعه، وأبراجه، وحيطان حمايته، أضحت بعد الغزوة نموذجا للمكان المهدم، كسرت فيه الجدران، وحطم فيه البنيان، ومحيت فيه الآثار، وكان ذلك من أجل فرض واقع جديد.

¹ - المصدر نفسه ، ص41

² - المصدر نفسه، ص48.

د/ المكان الطبيعي:

وتعتبر علامات في بناء الرحلة وسير أحداثها، فالأماكن الطبيعية ممثلة في الجبال والأودية، التي في كثير من الأحيان، وخضوعاً لمنطق قوة السلطة وانتصاراتها، أصبحت ملجأً للفارين من أولئك الذين قاوموا بشدة إلا أنهم انهزموا فكان نتيجة ذلك أن «تفرقوا في رؤوس الجبال و بطون الوديان»⁽¹⁾.

كما اتخذ من المكان الطبيعي مطية للوصف، بل أكثر من ذلك للتفكير وللتدبر في قدرة الله سبحانه و تعالى، مثلما كان حاله عندما وصلوا إلى جبل "خنيق الملح" « وهذا الجبل كله من ملح، إلا أن أكثره يظهر في رأي العين أخضر، والبعض منه كشفت ترابه الأمطار وغسلته فصار ملحا أبيض...»⁽²⁾.

ثالثاً: النظام الزمني:

لدراسة النظام الزمني في خطاب سردي، لا بد أولاً من أن نعود إلى مقارنة الأحداث المتواجدة في القصة كما حدثت بالفعل، لأنها تسرد وفق زمن طبيعي كرونولوجي، وتواجد هذه الأحداث نفسها في السرد وهو الزمن الحكائي، والذي لا يتقيد بزمن منطقي للأحداث فإذا كانت الأحداث في القصة تسير على شكل:

أ ← ب ← ج ← د فإن الزمن في الحكاية يكون على شكل:

ج ← د ← ب ← أ وزمن الحكاية هو زمن من تتابعي لأن زمن العالم التخيلي (أما زمن القصة زمن طبيعي) ونتيجة لعدم التطابق بين الزمنين (زمن الحكاية وزمن القصة) ينشأ ما يسمى بالمفارقات الزمنية، ولكن قبل التطرق إلى هذه التقنية، لا بد من التفريق بين هذين الزمنين، وقد أطلق جيرار جينت عليها مصطلح الزمن الأول والزمن الثاني، فالأول هو الزمن الطبيعي للقصة كما حدثت بالفعل، والثاني هو زمن الحكاية وهو الزمن التخيلي.

¹ - أحمد بن هطال التلمساني رحلة محمد الكبير ، ص39.

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أ/ زمن القصة:

يسميه جيرار جينت بالزمن الأول الزمن الذي استغرقتها لأحداث المتخيلة في وقوعها الفعلي⁽¹⁾، وزمن القصة هو الزمن الحقيقي الفعلي للأحداث كما حدثت في الواقع المعيش أو يفترض أنها حدثت وبالتمعن في هذا التعريف هو تركيز على الزمن الذي استغرقته الأحداث إلى المدة الزمنية (قصرت أو طالت) التي دارت فيها أحداث القصة وإن كانت هذه الأحداث جرت في مئة عام، وعليه فزمن القصة يخضع لتتابع المنطقي للأحداث.

ب/ زمن الحكاية:

يطلق عليه جيرار جينت مصطلح الزمن الثاني وذلك لأنه لا يراعي التسلسل المنطقي للأحداث كما في القصة لأن ذلك شبه مستحيل، فالسارد لا يستطيع عرض جملة من الأحداث وقعت في آن واحد بذلك يلجأ إلى التلاعب بالزمن ويعرف زمن الحكاية «بأنه الزمن الملفوظ أو المكتوب الذي يعرض الراوي فيه تلك الحوادث عرضاً يجعلها قابلة للقراءة في الحدود التي يسمح بها الوقت من جهة والحدود التي تسمح بها أداة التعبير، وهي اللغة من جهة أخرى»⁽²⁾.

تتجلى من خلال هذا التعريف ثلاثة منطلقات لزمن الحكاية، أولها أن الزمن ملفوظ أو مكتوب، وهذا ربما يتعلق بالتخيل، ذلك الخيال الذي يلجأ إليه السارد لعرض الأحداث وثانيها أن تكون الأحداث قابلة للقراءة في حدود الوقت المسموح به، والمقصود بذلك قدرة الكاتب على عرض الأحداث الواقعة في مدة زمنية يمكن أن تكون طويلة جداً في زمن قصير وذلك باختزال الزمن والتلاعب به فيكون السارد في مدة قصيرة وقابلة للاستيعاب، أما الأمر الثالث هو اللغة المستعملة في التعبير، وقدرة الكاتب على التلاعب بالزمن من خلال اللغة الهادفة، أو كما يعبر عنها جينت بقدرة الكاتب على إدغام زمن في زمن آخر وهي من وظائف الحكاية.

¹ - إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2001، ص100.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وعليه فإن «مقارنة ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردى (في الحكاية) بنظام تتابع الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة»⁽¹⁾، ينشأ ما يسمى بالمفارقات الزمنية.

01. المفارقات الزمنية:

تنشأ المفارقات الزمنية نتيجة لتناثر القائم بين ترتيب القصة وترتيب الحكاية، إذن إن التوافق في الترتيب الذي تحدث فيه الأحداث والتتابع الذي تحكى فيه، فبداية تقع في الوسط يتبعها عودة إلى وقائع حدثت وفي وقت سابق، تشكل نموذجا مثاليا للمفارقة⁽²⁾.

يتضح من التعريف أنه نتيجة لعدم التوافق وعند الوصول لوسط الحكاية يعود السارد للوراء لسرد وقائع حدثت في الماضي، سواء كان قريبا أو بعيدا يحدث ما يسمى الاسترجاع، ولا يتوقف السارد عند هذا الحد بل يقوم بتعديل اتجاه السرد الذي يسير نحو المستقبل وهذا استباق الأحداث بالإضافة إلى ذلك أن لكل مفارقة سردية مدى (prté) واتساع (amplitude).

أ/ المدى:

يعرفه الناقد «بأنه المجال الفاصل بين نقطة السرد، وبداية الأحداث المسترجعة أو المتوقعة»⁽³⁾ أي هو المسافة الزمنية بين النقطة التي وصلها أو بلغها السرد، والنقطة التي بدأت فيها الأحداث المسترجعة أو المستبقة.

ب/ السعة والاتساع:

ويقصد به تلك «المسافة الزمنية التي تستغرقها المفارقة»⁽⁴⁾، أي الفترة الزمنية التي تستغرقها الأحداث المسترجعة أو المستبقة كذلك.

¹ - جيرار جينيت، خطاب الحكاية ترجمة محمد معتصم وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، سوريا، دمشق، ط2، 1997 ص47.

² - جبر الد برنس، المصطلح السردى، ترجمة عابد جراندان، المجلس الأعلى للثقافة، سوريا، دمشق، ط1، 2003 ص24.

³ - حميد لحميداني، بنية النص السردى، ص74.

⁴ - عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة الى الشمال، دار هومة الجزائر، د ط ، 2010، ص17.

ولابد من العودة إلى أنواع المفارقات الزمنية لدراسة كل واحدة منها على حدة وبيان مدى حضورها في المدونة السردية محل الدراسة.

1-1- الاسترجاع:

إن السارد أو الراوي يعود في أغلب الأحيان إلى الماضي لسرد بعض الأحداث المتعلقة بالشخصية أو بأفعالها ويسمى هذا الحدث استرجاعا ويعرفه برنار فاليط بأنه «السرد بعد اللحظة التي وقعت فيها القصة (...)» إذن فالإرجاع يعني سرد حدث ماض باستحضاره واستذكاره⁽¹⁾، والاسترجاع حسب فاليط هو سرد لأحداث الماضي، حيث يقوم السارد باستحضارها وتذكرها لذلك أطلق على الاسترجاع اسم الاستذكار.

والاسترجاعات في هذه الرحلة متنوعة بين استرجاعات داخلية أخرى خارجية فمن الخارجية والتي تكون منفصلة عن الحكاية، ولا علاقة لها بها، فمن الاسترجاعات الخارجية في رحلة لأحمد بن هطال التلمساني من خلال تمهيد استهل به الرحلة حيث يقول: «فإن علم التاريخ من أجل العلوم قدرا، وأكملها محاسن وفخرا فهو أحد ما يطلق عليه علم العربية»⁽²⁾، وفي هذا فهو يسترجع علم التاريخ مبينا أهمته ومحاسنه ومكانته بين العلوم. ومن الاسترجاعات الداخلية والتي تكون لها علاقة بموضوع الرحلة وحكايتها فمن أمثلة ذلك نذكر:

ففي بيانه جهة الرحلة وسبب اختياره لها، فهو بذلك يسترجع الموقع المحدد للرحلة وكذلك السبب الوجهة إليها حيث يقول: «رأى إنها ذات بلدان كثيرة وأعراب راحلة ومقيمة إلا أنها لم تنلها أيدي السلطنة...»⁽³⁾.

وفي قوله: «لم يطمع أحد مما كان قبله فيها» كذلك استرجاع وعودة إلى ما هو قبل النقطة التي وصل إليها سرد الأحداث ومن الاسترجاعات كذلك في قوله: «وأما من كان منهم بأهله بقي حتى عشية الليل وستره الظلام فحملوا أمتعتهم ولم يبق منها إلا الجريح الذي لا قدرة له على المشي»، وبهذا فهو يسترجع ما حدث لأهالي بني الأغواط وحلفاؤهم بعد خوفهم من المواجهة مفضلين الهروب والرجوع إلى أوطانهم وفي قوله: «ثم عين لهم سنة من

¹ - برنار فاليط، النص الروائي، ترجمة رشيد بن جدو، المجلس الأعلى للثقافة، سوريا، دمشق، 1997، ص 110.

² - أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري، ص 34.

³ - المصدر نفسه، ص 35.

كبرائهم الذي يأتون بأبنائهم يكونون هنا تحت يديه فامتثلوا لأمره واستمعوا لقوله...»⁽¹⁾، وفي هذا استرجع ويتذكر الشروط واللزمة التي جعلها على بني الأغواط.

ومن الاسترجاعات كذلك في قوله: «وفي الأيام التي كان مقيما على عين ماضي سرع في أعضاء الدنانير لوجوده قومه، وقواد عسكريه، ومقدمي قبالة، فلم يبق منهم أحد إلا أعطاه...»⁽²⁾، وفي هذا استرجاع واستنكار لأفعال الباي محمد الكبير أثناء قيامه بعين ماضي فلم يترك شيئا يحتاجون إليه إلا وأعطاهم وحقق رغباتهم وما هم بحاجاتهم.

والى جانب هذه العملية السردية توجد عملية أخرى تعرف بالاستباق «تداعي الأحداث المستقبلية التي لن تقع واستبقها في الزمن الحاضر أوفي اللحظة الآتية لسرد، وغالبا ما يستخدم الراوي فيها الصيغ الدالة على المستقبل لكونه سرد الأحداث لم تقع بعد»⁽³⁾.

بمعنى أن يقوم على التوقعات وإيراد أحداث آتية والإشارة إليها مسبقا، أي على شكل افتراضات السارد وبصدد الحديث عن المستقبل.

ومن أمثلة الاستباقات في رحلة بن هطال التلمساني وهذا بين أنه لم يكتف السارد في هذه الرحلة بالاسترجاع، وإنما سرد خطابات استباقية ومن هذه الاستباقات نذكر.

بيان السارد للزمة السنوية التي قررها الباي على الأحرار الغرابية بقوله " وأمرهم أن يأتوا بخمسائة جمل كل جيدة على الحمل"⁽⁴⁾، فهو استباق لأمر سيحدث وليس لأمر حديث وهو مبنيا في عبارة أن يأتوا.

ومن الاستباقات كذلك في قوله " وواعدوه بأنهم سبعثون ربعة من الخيل التي سرقوها المخالف، تصله في منزله هذا وما بقي من اللزمة"⁽⁵⁾.

فمن خلال هذا القول استباق لأمر لم يحدث وإنما سيحدث فهو استباق بأن أهالي الأغواط سيكملون ما عليهم من اللزمة التي فرضها عليهم.

¹ - أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري ، ص 63

² - المصدر نفسه، ص 71

³ - عدوان نمر عدوان، تقنيات السرد في أعمال جبرار جينيت ، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، فلسطين، ص 17.

⁴ - أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري، ص 70.

⁵ - المصدر نفسه، ص 67.

ففي هذه الرحلة توجد أبيات شعرية بالإضافة إلى النثر فمن الاستباقات الموجودة داخل هذه الأبيات نذكر:

بيت قال فيه الفجيجي أخي هل ترى الأيام تجمع شملنا

ففي هذه الأبيات استباق لما سيحدث في الأيام القليلة فهو تساؤل حول ما يدور في الأيام المقبلة فهل هذه الأيام كفيلة بأن تجمعهم بعد فراقهم.

وفي قوله: « ولما نزل أهل تاجموت آتون هل يأتون له بالعطف في هذا الدار، أو حتى ينزل إليهم»⁽¹⁾، وفي هذا استباق فهم آتو طالبين الأمان ليس بديارهم وإنما عند قيامه بعين ماضي .

من الاستباقات كذلك في قوله «... وتحقق أن يدخلها»، بذلك قدمنا مجموعة من الاستباقات والاسترجاعات، يجب الحديث عن اهتمام السارد بالزمن المتجسد من خلال حرصه على التالي في ذم الأحداث وإبراز تتابعها بطريقة بسيطة، ومثل هذه الطريقة في السرد فرضتها واقعية الأحداث التي ما كانت لتكون إلا متسلسلة تسلسلا خاضعا للترتيب الزمني وتجليات ذلك في الرحلة من خلال قوله «فخرج يوم الخميس التاسع من ربيع الأول... واضح مرتحلا يوم الجمعة ... وأقام هناك بالغد... وركب مساء يوم الإثنين وقت المغرب»⁽²⁾، كما أن السارد لم يكتف بالتحديد اليومي، بل تعدى ذلك لتحديد مدة الإقامة في المدن والقرى، وتقدير المسافات بينما بالساعات، وما ذلك الرحلات الرسمية على غيرها من الرحلات الأخرى، وهذا الأمر يتضح بجلاء على طول هذه الرحلة ومحطاتها، وهذا يتضح من خلال النماذج التالية:

- نزل واد الزلامطة وبينه وبين المعسكر ست ساعات⁽³⁾
- نزل واد العبد" ومسافة ذلك خمس ساعات⁽⁴⁾
- نزل " ديركاف" وفيها من المسافة ست ساعات⁽⁵⁾.

¹ - أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري ، ص 88

² - المصدر نفسه، ص 70.

³ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ - المصدر نفسه، ص 37.

- أصبح في " عين سيدي علي" وتقدير هذه المسافة تسع ساعات.
فهذا النمط من التعبير المرتكز على الأفعال الدالة على الحركة، وذلك يتجسد من خلاله التالي بالأيام، وتبرز فيه المسافات، مقدرة بالساعات، فهو بصورة في مناطق العبور التي لم يجد فيها الباي صعوبة لإخضاعها أو إجبارها على الاستسلام ما فرض في ذلك تسريع الأحداث وعتب التقنيات التي تبطء السرد ومقابل ذلك نجد عناصر توقف السرد من ذلك نذكر:

الوقفة والمشهد وهما آليات تحملان على تبطء السرد وهما من التقنيات التي تسمح بسرد الأجزاء المتعلقة بالأحداث أو بالشخصيات الأمر الذي يعطل السرد ويبطئ حركة الحدث فالوقفة هي تقنية زمنية تحقق الإبطاء المفرط في تقديم أحداث القصة حيث " يظل زمن القصة يتراوح مكانه بانتظار فراغ الوصف من مهمته"⁽¹⁾.

ومن أمثلة ذلك في نص الرحلة قوله: « ونزل الحيز، وهذا المنزل فيه ثلاث عيون كل عين منها في غاية ما يكون في صفاء الماء وقوته، اتساع الأرض الذي استقى به تلك العيون مفترقة في أماكن ينابيعها...»⁽²⁾.

وفي هذا فهو يصف هذه المنطقة وما فيها من صفات ومحاسن.

ومن أمثلة الوقفة كذلك في قوله « ونزل على تاويلة، وهما مدينتان كل واحدة لها بساتين كثيرة، وماء غزير ومزارع إلا أن تاويلة أكثر عمارة وأوسع مزارع»⁽³⁾.

وفي هذا فهو يقدم أوصافا لتاويلة والخضراء واصفا في ذلك بساتينها ومياها ومزارعها أما المشهد فهو «الحركة سردية يتحقق فيها التوازن بين زمن القصة الخطاب وزمن القصة»⁽⁴⁾، ولا يتحقق ذلك إلا في المقاطع الحوارية عن طريق الأسلوب المباشر في نقل الحوار بين الشخصيات دون تداخل السارد ومن أمثلة ذلك في الرحلة قوله: « فقال لهم عند

¹- حسن بحرأوي، بنية الخبر ، ص165.

²- احمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير، ص41.

³-المصدر نفسه، ص40.

⁴- عمر عبد الواحد، بنية الخبر ، ص147.

ذلك أن هذه المدينة قد أحيطت بها البساتين والأبراج وبساتينها كلها مدورة بالسور»⁽¹⁾، وبهذا توقف السرد وفتح المجال أمام المشهد الذي استغله السارد لتعريف بهذه المدينة. ومن أمثلة المشهد كذلك «اعتقادك، فأمنت على هؤلاء القوم وأجعلهم أرقاءك وأدخر أجر عفوهم عند الله تعالى... وقال لهم لا بد من قتالهم ثم، أمرهم بالقيام من عنده...» فالمفارقات الزمنية أي الاسترجاع والاستباق كانت وجودها داخل نص الرحلة قليلة لان تتابع أحداثها خطي وبالنسبة للوقفة والمشهد عند وجودهما يتوقف فيها زمن السرد وبذلك فالسرد عناصر وآليات من شأنها أن تبطئ العملية السردية وأخرى تسرعها وكل منها آليات ووسائل.


¹ - احمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير ، ص54.

خاتمة

خاتمة

شهد الأدب الجزائري القديم في العهد العثماني رحلات سواء منها الداخلية التي قادتهم إلى مختلف أنحاء الوطن، أو الخارجية التي كانت وجهتها في الغالب نحو المشرق. وهذا بحث في أدب الرحلات خصصته لرحلة أدبية جزائرية داخلية قام بها محمد الكبير وألفها احمد بن هطال التلمساني وطبقت عليها الدراسة السردية وكشفت من خلال الدراسة مضمون الرحلة والتعريف بصاحبها وفن الرحلات ثم انتقلت إلى الدراسة الشخصيات والزمان والمكان وخلصت بجملة من النتائج ابرزها:

- أن فن الرحلة فن أصيل في الأدب الجزائري وله خصوصياته الفنية والموضوعية.
 - أن الرحلة الجزائرية خلال العهد العثماني تنوعت بتنوع العوامل التي دفعت إليها ، والأهداف التي سعت من اجل الوصول إليها فكانت حجية وعلمية وسياسية.
 - أن الشخصية المركزية وهي شخصية الرحالة في رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الجزائري رحلة باي فكانت رحلة سياسية رسمية فكانت شخصية الرحالة وهي الأساس التي تبنى عليه جميع مكوناتها والمحور التي تدور حوله جميع مكوناتها والمحور الذي تدور حوله جميع أحداثها يتجلى ذلك من خلال سيطرتها على سير أحداث الرحلة عبر مختلف محطاتها قولاً وفعلاً وهو ما جعل الشخصيات الأخرى تظهر في خدمة الشخصية المركزية.
 - أن المكان والزمان من البنيات التي يستحيل أن يستغني عنهما الرحلة مهما كان وجهاتها ومهما اختلفت دواعيها.
- أن رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري يندرج نوعها ضمن الرحلات السياسية والتي كانت بهدف إخضاع قبائل الجنوب لسلطة العثمانية وإخضاعها لدفع ضريبة ولزمة سنوية تختلف من قبيلة إلى أخرى.



قائمة المصادر
والمراجع

القران الكريم

المصادر

1. أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي، تحقيق محمد بن محمد بن عبد الكريم، دار السويدي، الإمارات، ابو ظبي، ط1، 2004.

المعاجم

2. ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سوريا، دمشق، د ط دت
3. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله ابراهيم واخرون، دار المعارف، مصر، القاهرة، د ط، دت

المراجع

4. احمد بن عامر، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، مطبعة فونتاهاة، الجزائر، د ط، دت
5. احمد ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية، كلية الآداب، المغرب، الرباط، د ط، دت
6. اسماء ابو بكر، الرجل والرحلة ابن بطوطة، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1992.
7. ابراهيم احمد العدوي، ابن بطوطة في العالم الاسلامي، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط3، 1993
8. ابراهيم خليل، بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2001.
9. ايخانيوم بوريس، النظرية الشكلية في نظرية المنهج الشكلي، ترجمة ابراهيم الخطيب مؤسسة الابحاث العربية، لبنان، بيروت، ط1، 1982 .
10. ابن باديس عبد الحميد، حياته واثاره ،جمع ودراسة عمار طالبي، الشركة الجزائرية الجزائر، ط1، 1968.
11. جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم واخرون، المجلس الاعلى لثقافة سوريا، دمشق، ط2، 1997.

12. حميد لحميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، لبنان، بيروت، ط1، 1991.
13. الحسين الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، منشورات عكاظ، دط، دت.
14. ابن حمادوش عبد الرزاق الجزائري، رحلة ابن حمادوش، تحقيق ابو القاسم سعد الله الطباعة الشعبية، الجزائر، دط، 2007.
15. دانيال هنري باجو، الأدب العام والمقارن، ترجمة غسان السيد، اتحاد كتاب العرب سوريا، دمشق، دط، دت.
16. رشيد بن مالك، مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، لبنان، بيروت ط1، 2000.
17. عبد الرحيم مودن، الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، دار السويدي، الإمارات، ابوظبي، ط1، 2006.
18. زكي محمد حسين، الرحالة المسلمون، في العصور الوسطى، دار الرائد، لبنان، بيروت دط، 1981.
19. سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ديوان المطبوعات الجامعية تونس، ط1، 1989.
20. عمر عاشور، بنية النص السردي عند الطيب صالح، دار هومة، الجزائر، ط1، 2010.
21. عزام محمد، شعرية الخطاب السردي، اتحاد كتاب العرب، سوريا، دمشق، ط1، 2005.
22. عمر الدين عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، مكتبة الوفاء، مصر، القاهرة، ط1، 1986.
23. فلاديمير بروب، مورفولوجيا الخرافة، ترجمة إبراهيم الخطيب، المغرب، دار البيضاء دط، 1986.
24. ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، دط 1981

25. ابو القاسم سعد الله ،ابحاث وارااء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الاسلامي، لبنان، بيروت، ط1 ، 1996
26. مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، لبنان، بيروت، ط1 ، 1986.
27. محمد صالح خرفي، فضاء النص لدراسة نقدية، منشورات ارستيك، الجزائر، ط1، دت
28. ابن منظور، لسان العرب ،تحقيق عبد الله ابراهيم واخرون ،دار المعارف، مصر، القاهرة ط، دت
29. يوريس ابخانيوم، النظرية الشكلية، في نظرية المنهج، الشكلي، ترجمة إبراهيم الخطيب مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، بيروت، ط1، 1982.

المجلات

- بسام قطوس، شعرية الخطاب السردى، ترجمة محمد معتصم واخرون، المجلس الاعلى لثقافة سوريا، دمشق، ط2، 1997

فهرس الموضوعات

الصفحة	فهرس الموضوعات
ب-أ.....	مقدمة.....
20-3.....	الفصل الأول: قراءة في النشأة والتطور.....
4.....	أولاً: مفهوم الرحلة:.....
4.....	1- تعريفها:.....
4.....	• أ/ لغة :
5.....	• ب/ اصطلاحاً:
7.....	ثانياً: لمحة الى الرحلة في الأدب الجزائري:.....
9.....	ثالثاً: ادواعي الرحلة:.....
9.....	أ/ الدواعي غير المباشرة:.....
10.....	• ب/ الدواعي المباشرة:.....
10.....	• 1- الباعث الروحي:.....
11.....	• 2- الباعث العلمي:.....
12.....	• 3- الباعث السياسي:.....
14.....	رابعاً : تعريف السرد:.....
14.....	• 01/ لغة:
14.....	• 02/ اصطلاحاً:
16.....	خامساً:نشأة علم السرد:.....
16.....	أولاً: السرد عند الغرب:.....
17.....	ثانياً: السرد عند العرب:.....
19.....	سادساً:وظائف السرد:.....

- 19 أ/ وظيفة السرد: 19
- 19 1- الوظيفة الابلاغية: 19
- 19 2- الوظيفة الاستشهادية: 19
- 19 3- الوظيفة الايديولوجية: 19
- الفصل الثاني: مكونات السرد 21-46
- أولاً: الشخصية: 22
- 22 أ/ الشخصية لغة: 22
- 23 ب/ اصطلاحاً: 23
- 01. الشخصيات في الرحلة: 24
- 25 أ/ الشخصية المركزية: 25
- 28 ب/ علاقتها بالآخر: 28
- 30 ج.السارد: 30
- ثانياً: المكان: 32
- 36 أ/ المعسكر مدينة الانطلاق: 36
- 36 ب/ مدن العبور: 36
- 37 دير الكاف 37
- 37 البيضاء: 37
- 37 الخضراء وتاويلة: 37
- 37 الخير: 37
- 37 الدبداب 37
- ج - الأغواط المكان المتمرد / الهدف: 38
- د/ المكان الطبيعي: 39

39	ثالثا: النظام الزمني:
40	• أ/ زمن القصة:
40	• ب/ زمن الحكاية:
41	01. المفارقات الزمنية:
41	• أ/ المدى:
41	• ب/ السعة والاتساع:
42	• -1-1 الاسترجاع:
48-47	خاتمة.....
52-49	قائمة المصادر والمراجع.....
56-53	فهرس الموضوعات.....
59-57	ملخص.....
58	* ملخص بالعربية
59	ملخص بالفرنسية.....
68-60	ملاحق.....
61	أولا: حياة محمد الكبير:
61	01. كنيته:
61	02. نشأته:
62	03. دوره في الحكم:
63	ثانيا: حياة أحمد بن هطال التلمساني المكان:
64	ثالثا: تلخيص رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي:

ملخص

ملخص

تكشف هذه الدراسة عن مدى غنى النص النثري في الأدب الجزائري القديم بالسرد، من خلال رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الجزائري فتجربته كانت تربية علمية وأعطت صورة عن المجتمع الجزائري في ظل العهد العثماني. قسم البحث إلى فصلين وملحق، تسبقهما مقدمة و يتلوها خاتمة تتضمن النتائج التي تمخضت عن البحث، ثم قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة.

Résumé

Ce mémoire nous éclaire que la littérature ancienne Algérienne nous donne le voyage de Mohamed bel-Lekbir au sud Algérien qui reflète une vision de la société algérienne à l'époque des turques.

Cette recherche est divisée en deux chapitres et une annexe, en plus une introduction et une conclusion.

Comme elle est marginalisée pour des références et des résumés qui ont un rapport avec cette étude.



ملاحق

أولاً: حياة محمد الكبير:

01. كنيته:

هو محمد بن عثمان الكردي واسمه الكامل هو أبو عثمان أبو علي، أبو محمد أبو أحمد لقب بألقاب كثيرة وعديدة نذكر منها: الكبير و الأكل و المجاهد .

02. نشأته:

كانت أمه جارية، أهداها إسماعيل سلطان العرب لأبيه لمودة كانت بينهم، أما أبوه فكان خليفة على مليانة ثم ارتقى بعد ذلك ليصبح باي على تيطرى ودام حكمه تسع سنوات توفي سنة 1170، كان لوالده رابطة صداقة مع أبي إسحاق إبراهيم الملياني الذي كان قائدا على مليانة وكان من تكفل بعائلته بعد وفاة والده ولحبه الشديد له زوجه ابنته، بعد ارتقائه وتعيينه على الإيالة الغربية أخذ معه صهره محمد الكبير وعينه قائدا على فليطة وذلك سنة 1178 وبعد أن أظهر براعته في العلم عينه خليفة له سنة 1182م، وبعد مدة قصيرة اشركه في جميع حكومته ومنحه إدارة جميع الناحية الشرقية من الإيالة الغربية⁽¹⁾.

وفي سنة 1189 اقدم الإسبان غزو على الجزائر فحمل على الدفاع عنها بكل ما يملك ، وأظهر شجاعته أثناء المعركة وبعد كفاح وعمل طويل حقق الهدف المطلوب فشكره محمد عثمان باشا، وأثنى عليه الناس جميعا، وبعد وفاة إسحاق إبراهيم طلب الداعية من الداوي أن يعين مكانه محمد الكبير بايا على الإيالة الغربية ولكن هذا الأمر لم يتحقق

وفي سنة 1192 اجتمعت طائفة تسمى الدرقاوية وفي هذا الاجتماع توفي الحاج خليل الذي وصل إلى مرتبة الباي على الإيالة الغربية بفعل الرشوة ولم يعرف سبب وفاته⁽²⁾.

وبعد وفاته عين محمد الكبير بايا على الإيالة الغربية.

¹ - ينظر احمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي، تحقيق محمد عبد الكريم،

دار السويدي ، الإمارات ، ابوظبي، ط1، 2004، ص16

² - المصدر نفسه، صفحة نفسها.

03. دوره في الحكم:

بمجرد استلام محمد الكبير للحكم عمل على إصلاحات عديدة، فشرع في إصلاح شؤون الرعية والسهر على مصالح العباد، وتنظيم البلاد فعمل على نشر الأمن وبادر بإخضاع القبائل المتمردة على الحكم التركي مثل قبيلة أولاد بن طلحة وغيرها من القبائل التي عرفت بتمرداها كما كانت له غزوات ومن أهم غزواته التي قام بها داخل البلاد هي غزوة الجنوب الصحراوي الجزائري، والتي عمل على تجهيز جيش كبير، ونزح به إلى معسكر ومر " بجبل عمور" و"البيضاء" و"افلو" و"الطويلة" إلى أن وصل الأغواط حيث دخل إليها بقوة ونشاط فانقاد له جميع القبائل التي بسواحيها واعترفوا كلهم بدولة الأتراك في الجزائر ووقعت أحداث هذه الغزوة سنة 1199⁽¹⁾. وبعد هذه الغزوة عمل على فتح وهران واسترجاعها من الإسبان، وفي الفاتح من صفر سنة 1205 عمل على استرجاع مدينة وهران وذلك بعد رسالة أرسلها لداي محمد عثمان باشا ليشاوره في الأمر وبعد مشاورته سمح له بذلك فعمل على نشر الخبر بين الناس، وبعد مخططات كثيرة وصعوبات معرقة من جميع النواحي استطاع أن يحقق هدفه بفتح وهران واسترجاعها من الإسبان، وبعد نجاحه توجه إلى الجزائر وهناك استقبله الداوي حسين باشا استقبالا عظيما ومنحه "ريشة الانتصار" ثم عينه بايا على مدينة وهران وجميع الإيالة الغربية بما فيها تلمسان وتيطري وعين ابنه عثمان خليفة له على ضواحي العرب، كما عين ابنه محمد قائدا على قبائل فليطة⁽²⁾.

وكانت وفاته بعد أن انتقل إلى وهران مع أهله وحاشيته واتخذها مقرا له إلى أن وفاه الله ببلدة "صبيح" وذلك سنة 1213 وهو في طريقه إلى مدينة الجزائر بعد أن استمر في الحكم مدة عشرين سنة بايا مستقلا وسبعة سنوات خليفة، وكانت له أعمال وإنجازات عديدة ومتعددة نذكر منها اعتناؤه بالفقراء وحرصه على الثقافة والمنقنين واعتناؤه بالتنشيد والبناء⁽³⁾.

وبهذا فحياته مليئة بأعمال وإنجازات شملت جوانب ونواحي كثيرة بما فيها غزوات وحروب بهدف الوصول إلى فتح البلدان وتخليصها من غزو ماكر.

إن الرحلة من الفنون النظرية التي كانت و مازالت محط اهتمام العديد من الدارسين والباحثين فكثرت اجتهاداتهم ، قصد إقامة مفهوم لها وتميزها عن الفنون الأخرى وهذا ما جعل

¹ - ينظر احمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي، ص18.

² -المصدر نفسه، ص19.

³ - المصدر نفسه، ص 24-25.

مفاهيمها تختلف باختلاف وجهة النظر وتغير التخصص من شخص إلى آخر فالمؤرخ مثلاً يربط الرحلة بكل ماله علاقة وصلة بالتاريخ، والجغرافي لم يرى فيها إلا كل ماله علاقة بعلم الجغرافيا في حين ينظر إليها دارسوا الأدب ونقاده نظرة فنية، فانصببت جل اهتماماتهم بكل ما تحمله من جماليات فنية وأدبية من خلال نصوص شعرية ونثرية فكانت للرحلة تعريفات لغوية عديدة وأخرى اصطلاحية.

ثانياً: التعريف بأحمد بن هطال التلمساني:

كان كاتباً ومستشاراً لمحمد الكبير باي الإيالة الوهرانية ومبعوثاً له في المهمات الخارجية، فهو أبو العباس الحاج أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن هطال التلمساني كما كان كاتباً لبابي مصطفى بن عبد الله العجمي رابع الإيالات الوهراني.

كان وفاته في معركة بين الأتراك وابن الشريف الدرقاوي وأنصاره وذلك في أوائل ربيع الأول سنة 1119، ودارت أحداث هذه المعركة في مكان يقال له فرطاسة، يقع بين مينا وواد العبد وقد انتصر في هذه المعركة ابن الشرف الدرقاوي وأنصاره انتصاراً عظيماً⁽¹⁾.

¹ - أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري حررها وقدمها محمد بن عبد الكريم، دار السويدي، الامارات، أبو ظبي، ط1، 2004، ص15.

ثالثا: تلخيص رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي:

استهل أحمد بن هطال التلمساني مدون هذه الرحلة وراصد لأحداثها رحلته مع باي الغرب محمد الكبير بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، بتمهيد عالج فيه فضل علم التاريخ قائلا: «فإن علم التاريخ من أجل العلوم قدرا، وأكملها محاسن وفخرا فهو أحد ما يطلق عليه علم العربية كان أحق ما تنفق فيه الذخائر السنوية، وتصرف إليه المهج الزكية إذ به عرفت قدماء الأمم وبه حفظت مكارم أخلاقهم والشيم»⁽¹⁾، كما بين الغرض والسبب وراء تقييده لهذه الرحلة التي دونها رغبة منه في خدمة الباي مشيدا بخصاله وصفاته قائلا: «ذا الأيادي العظيمة، والمنن العظيمة والسياسة السديدة»⁽²⁾، وبعد ذلك شرع في تقييده لمستجدات الرحلة وذلك من يوم بدايتها الخميس التاسع من ربيع الاول سنة 1919 إلى يوم العودة إلى معسكر الأربعاء من الثامن والعشرين من ربيع الثاني وبالتحديد قبل العصر.

إن الرحلات تتحكم فيها بواعث ودواعي دينية وأخرى علمية، إلا أن رحلة محمد الكبير تحكمت فيها أوضاع سياسية، فلم تكن هذه الرحلة للقيام بطلب العلم أو أداء رسالة أو حتى رحلة اضطرارية، وإنما كانت رحلة أمير مسؤول على بايليك الغرب الجزائري.

كان احمد بن هطال التلمساني مصاحب لمحمد الكبير مدونا لكل ما تحمله هذه الرحلة من مراحل وأحداث، ويقوم بتسجيل أحداثها المختلفة والمتعلقة بالحركة التأديبية ذاك العقبات والنكسات وما أحرزته من انتصارات في المقابل فبعد كل صعوبة ، انتصار ووصول إلى الهدف، فكان بأشبه بصحفي يقوم بوصف الأحداث وما يلاحظ على هذه الرحلة أنها جمعت بين النثر في الغالب والشعر المقتبس والتي وصل عددها ثمانية وتسعين بيتا، وظفت جميعها في مدح الباي محمد الكبير والموضوع الغالب والمهيمن على هذه الرحلة وصف مجريات الحملة العسكرية التي كانت بوجهة الجنوب الجزائري، وذلك بهدف اخضاع القبائل العاصية والمستقلة على الحكم العثماني، من خلال الوصول إلى طاعة الباي ولتنفيذ اوامره وإجبارها على دفع اللزمة السنوية ويذكر راصد هذه الرحلة وكاتب أحداثها أن الباي رأى في جهة القبلة الجنوب "ذات بلدان كثيرة ومقيمة"⁽³⁾، إلا إنها لم تتلها يدي السلطة ولم يكن منها مصلحة ولا منفعة معينة.

¹ - أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب ،ص34.

² - المصدر نفسه، صفحة نفسها.

³ - أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري، ص35.

وفي مسيرة هذه الغزوة صنفين ، صنف أول أعلن طاعته لحكم الباي دون حصار أو قتال ويمثل هذا الصنف أهل انقاد الذين أمدوا الباي بالشعير والعلف للدواب، والإبل لحمل⁽¹⁾ الزاد والعلف ويندرج فمن هذا الصف قبائل الأحرار كأولاد خليفة وغيرهم الذين قدموا بخيلهم وخمسائة جمل تقوى على حمل مقابل الأمان فأمنهم⁽²⁾، وأخيرا قبيلتا تاجموت (تاج الموت) وعين ماضي، حيث استقبلته هاتان القبيلتان عند نزوله بالدبداب إثر سماعها بإغارة خليفته محمد ابن عبد الله على بلدة زينة، ودفعت له حينها الدراهم والصياغة والثياب والخيل وتعهدت له كلا القبيلتين بدفع اللزمة السنوية⁽³⁾، أثناء عودة الباي محمد الكبير من غزوته للأغواط، استقبله أهل تاجموت، ودفعوا له ثلاثين حملاً من العلف، ولما نزل بموضع يقال له "أمسناج" وهو موضع منبسط ذو مياه وعشب وهو متوسط بين تاجموت وعين ماضي فوق البيع والشراء بين تاجموت وجنود الباي⁽⁴⁾، فقد اشترى أهل تاجموت من المخزن: الغنم بقيمة ريال بوجو واحد لكل ثمانية رؤوس غنم، والبقر، كل أربعة رؤوس بريال بوجو واحد ومع ذلك لم يدفعوا له ديناراً ولا درهماً، وإنما دفعوا لهم البرانيس لاتقاء البرد والحياء.

ويقصر أوقل قدم على الباي محمد الكبير، أولاد صالح وأولاد يعقوب الساكنون ناحية الجنوب، وأولاد يعقوب الغرابية أي الساكنون نحو الغرب، وغيرهم، طالبين الأمان، فجعل على كل قبيلة لزمة معلومة من الإبل والخيل، وأمنهم وكساهم⁽⁵⁾. وبموضع "الخير" ذات المياه الوفيرة والمزارع الوفيرة⁽⁶⁾، قدم على الباي محمد الكبير أعيان قبائل الأحرار الشراقة بالإبل والخيل التي اشترطها عليهم، فعفا عنهم، وما عجزوا عن دفعه، عوّضوه - بعد موافقة الباي - بالدراهم أو العبيد على أساس أن كل عبد يعادل ثلاثة جمال، وبالتالي، تسنى للباي محمد الكبير تعويض ما فقده جيشه من إبل بفعل البرودة الشديدة والثلج⁽⁷⁾.

¹ - أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري ، ص 37.

² - المصدر نفسه، ص 38

³ - المصدر نفسه، ص 47- 48.

⁴ - المصدر نفسه، ص 50

⁵ - ينظر المصدر نفسه ، ص 70.

⁶ - المصدر نفسه، ص 39.

⁷ - ينظر: أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير ، ص 70.

أما الصنف الثاني فيشتمل على القبائل التي خضعت لحكم الباي محمد الكبير بعد حصار، أو إغارة أو كلاهما معاً، وقد تؤخذ منها الغنيمة التي لا تؤخذ إلا بقتال، ونذكر ذلك كما يلي: الإغارة على قبيلة جبل "خنيق الملح": حيث تسكن أكثرية هذه القبيلة بالجبل وقتلتها في البادية، حيث كان على دراية مسبقة بتوزيع أفراد هذه القبيلة العاصية، لأنه وبخ وزجر طلائعه الاستكشافية عندما أغفلوا التمرکز السكاني بالجبل، حيث تفرق الجنود على الوادي والجبل معاً، وأغار الباي محمد الكبير على المستقرين بالجبل الذين لاذوا بالفرار تاركين أرزاقهم وذريتهم وعيالهم، أما الذين بالوادي طالبين⁽¹⁾، الأمان أما الذين حوصروا فقد غنمت خيامهم وأمتعتهم وإبلهم المقدرة بألف جمل وما يفوق أربع آلاف شاه⁽²⁾.

ومن إغاراته كذلك الإغارة على بلدتي "الخضراء" و"تاويلة" وهما مدينتان كل واحدة لها بساتين وماء غزير ومزارع إلا أن تاويلة أكثر عمارة وأوسع من حيث المزارع فلما سمع أهلها بقدم جيش الباي، تفرقوا في الجبال وبطن الأودية، وتركوا أرزاقهم، فكانت تاركين أرزاقهم فلم يأخذوا من أمتعتهم إلا ما خف حمله وكثر ثمنه وتاركين ما عدا ذلك⁽³⁾، حيث عملوا بعد ذلك إلى إخضاع مدن قريبة من الخضراء وتاويلة في يوم الغد ذهب جيشه إلى "تادامة" وعملوا على إخضاع أهلها فأخذوا ما وجدوا فيها من قمح وشعير بعد فرار أهلها اثر سماعهم بقدم جيشه⁽⁴⁾، وكان الأمر نفسه في قصر أو فل⁽⁵⁾، الذي وجد أهله هارينين.

الإغارة على أعراب "القعدة": والتي يضرب بها المثل بصعوبة تضاريسها المحيطة بها سبعة أدوار كما أن البعض يسميها سبعة أدوار لأنها بها سبعة أدوار الإغارة على أعراب "القعدة": والتي يضرب بها المثل بصعوبة تضاريسها المحيطة بها سبعة أدوار كما أن البعض يسميها سبعة أدوار لأنها بها سبعة أدوار، حاصرها الباي محمد الكبير بفرسانه ومشاته من كل جهة، وصار أهلها في خناق شديد، فكانوا مخيرين بين القتل أو الأسر، وقد غنم الجنود الخيام والأنعام، وتحرك أعيان "القعدة" لمصالحة الباي وذلك بإعطائه أربعمئة رأس من البقر ومائة حمل من

¹ - أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري ص39.

² - المصدر نفسه، ص40

³ - المصدر نفسه، ص41.

⁴ - المصدر نفسه، ص42

⁵ - المصدر نفسه، ص44

الشعير ، ولقد شهد وأحسن أخلاقه بعد أمر جيشه بإطلاق الشيوخ والكهول وعدم التعرض لأي امرأة حرصا لحرمتها (1).

وأثناء سيره إلى بني الأغواط مر إلى عين ماضي ، فقدم له أهلها الطاعة مقابل الأمان ، ثم بلغه بعد ذلك أنهم نقضوا الطاعة ، فغزاهم ، فقاتلوه قتالاً شديداً ، وبعد هذا القتال استطاع أن يسيطر على هذه المدينة ويلزم أهلها بلزمة يؤدونها كل سنة (2).

وفي اليوم التالي ذهب إلى الأغواط فبعد مجيء أهالي الأغواط طالبين الأمان مقابل الطاعة بعد اتيانهم بصحيح البخاري عند خروجه بأمر الضلوع وإعطائه إعطائه مائة خادم وخمسة آلاف سلطاني ومائة ثوب وأربعة أفراس من عتاق الخيل ، فأمنهم وكساهم ، ولما انصرفوا ، هو وجيشه تذكر أنه لم يجعل لهم شيئاً يؤدونه كل سنة ، فبعث وفدا مخزنيا ، أبلغهم أن الباي يشترط عليهم تعهدا يدفعونه في كل سنة ، فرفضوا ذلك ، وقاموا بتهديد وفده ، وجعلوه حجة لنقض عهدهم فعملوا على تحصين مدينتهم فلم يترك باب يجلب لهم الخوف إلا وقاموا بإغلاقه ولا أمر نافعا إلا واستفاد (3) منه كلما قام لأعراب المجاورين لهم ، الذين استجابوا لذلك وقام الأعيان بتوزيع المقاتلين ، وجدّدوا بناء الموضع المرمّمة وحصّنها ، وبعد معرفة الباي بعصيانهم تحرّك جيشه ، وفقا لطلبه وعين المدينة من الجبل الذي يحيط بها غربا وشرقا فلاحظ أن المدينة محصّنة ومحاطة ببساتين وأبراج ، وأسوارها متخالفة وبعضها خلف بعض فجسّ نبضها بقصفها من الجبل بأربعة مدافع ثم وضع خطته العسكرية وفقا لخطوات ومراحل كانت بداياته بتكلف الخدم والموالي الذين إصطحبهم معه بتهديم حيطان المدينة وذلك ليتمكن الجنود من التسلل إلى المدينة والدخول لها ، وبعد ذلك عين لكل قبيلة موضعها ولكل طائفة مركزها فعين الجنود بالجبل ، وعيّن المخزن الغربي بوادي الجبل في جنوب المدينة ، ثم نصب المدفع في الجهة الغربية للمدينة ، في أسفل الجبل مقابل بابها ، ثم عيّن مخزن الشرق في الجهة الشمالية للمدينة ، وحين عين الدواير في شرق المدينة ، ليكونوا عندئذ على يسار المدافع ، وبهذه الكيفية ، تمّ تطويق المدينة من الجبل والوادي ، ومن الجهات الأربع ، وشرع الموالي ، والخدم في عملهم ، وتمكنوا من تهديم ما يزيد عن خمسين حائطا ووقع الهجوم على المدينة ليأمر الباي بالرجوع حذراً من الوقوع في فخ أهالي المدينة ، حيث ذكرت

¹ - ينظر أحمد بن هطال التلمساني ، رحلة محمد الكبير ، ص 46-47.

² - المصدر نفسه ، ص 50

³ - المصدر نفسه ، ص 52-53.

الرحلة أن الأغواطيين وحلفائهم خسروا ما يزيد على ستين رجلا بين قتيل وجريح وأحد عشر أسيرا، لكنه لم يذكر خسائر جيش الباي، وما خيب آمال الأغواطيين في مواصلة التصدي للباي؛ تفرق الأعراب الحلفاء بعد رجوع كل عرش إلى أرضه ليلا، وبالتالي، نلاحظ أن جيش الباي محمد الكبير لم يضبط حركة الانصراف، والانسحاب من الأغواط ما يدل على خبرة الأعراب بخبايا الأرض، وجهل الباي لها، أو أنه تعمد تركهم ينسحبون، حتى تضعف مقاومة الأغواطية. وبالفعل وصل إلى هدفه بحيث أنه أراد مقومتهم مجددا ولكن بعد إخراج العلماء من هذه الأرض حرصا منه على أهل العلم وبالتالي تقديره لحملة العلم، لكن بعد وساطة الخليفة محمد بن عبد الله لدى الباي، عفا هذا الأخير عن الأغواطيين، بعد مجيء العلماء الأغواطيين طالبين منه أن يكتب لهم الأمان، ويحدد لهم اللزمة السنوية، فاكتفى الباي بتجديد ما طلبوه شفاهايا، ولكنهم كي يتمكنوا من دفعها دفعة واحدة فعملوا على دفع الخيل والفضة والدراهم، وقدوا عشرون خادما، ثم تقدم ستة من كبارائهم بأبنائهم كرهائن للباي محمد الكبير ريثما يتموا ما بقي من نصيب اللزمة. وفعلاً، وصلته اللزمة الباقية إثر نزوله بعين ماضي على دفعتين، حيث قدمت له في الدفعة الأولى خمسة آلاف ريال، وأربعون خادما وفي الدفعة الثانية، ستون خادما ومائتا وخمسون جملاً، وما تبقى من نصيب اللزمة وعدوه بإيصالها إلى معسكر مع إرجاع الخيول الأربعة التي سرقوها⁽¹⁾، أولاد المخاليف لجنوده وافتداء رجالهم الأسرى.

¹ - ينظر أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير، ص 60 - 70.